15me Année No. 713

Lundi — 3 — 3 — 1947

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٧١٣ «القاهرة فى يوم الاثنين ١٠ ربيع الثانى سنة ١٣٦٦ — ٣ مارس سنة ١٩٤٧» السنة الخامسة عشرة

مسألة القضاء والقدر

للأستاذ عباس محمود العقاد

قد راعيت ياسيدى أن أقدم إليك مسألة واحدة حتى لا يشق على مجلة «الرسالة» ردك ... وهذه المسألة هى «القضاء والقدر» هل الإنسان مسيّر أم مخيّر ؟ ... وقد وجهت هذا السؤال من قبل لأستاذى فردّ علىّ رداً لم أر فيه مقنعاً ... فتضاربت الآراء بعقلى وإنى لأخشى على نفسى وعلى إيمانى ...

محمد علي طالب
بمعمل قنا

مسألة القضاء والقدر هى مسألة الحرية الإنسانية فى جميع نواحيها ، فهى بهذه المثابة مسألة قضائية نفسية علمية ، وليست بالمسألة الدينية وكفى .

وليس من الميسور أن تحل هذه المسألة من جميع وجوهها حلا يدفع كل اعتراض ، ويوافق كل رأى ، ويكشف النقاب عن العلاقة بين حرية الإنسان وقوى الكون الذى يعيش فيه .

فان العلم بحدود حريته يتوقف على الإحاطة بهذه العلاقة من جميع أطرافها ، وليس ذلك بالمستطاع فى عصرنا هذا ، ولا نخاله يستطاع كل الاستطاعة فى وقت من الأوقات .

لكن المستطاع الذى لا شك فيه أن مسألة القضاء والقدر هى نفسها حل معقول أسهل من جميع الحلول التى تذهب إليها العقول ...

فماذا يقول من ينكر القضاء والقدر كأنه شيء لا يوافق العقل ولا يساغ فى منطق التفكير ؟

أيقول بأن المخلوقات يجب أن تختلف وأن تتساوى مع ذلك الاختلاف فى كل قدر وقضاء ؟

ذلك حكم لا يسوغ فى عقل عاقل . لأن اختلاف التقدير لازم مع اختلاف الأقدار .

فاذا اختلفت أقدار المخلوقات وأوصافها فلا يخطر على العقل أن تكون بعد ذلك سواء فى الأعمال والتقديرات .

وإذا هى لم تختلف فكيف يريد المعترضون أن تكون ؟ وكيف يتوهمونها فى الخيال فضلا عن تقديرها فى عالم الفكر أو عالم العيان !

أيريدونه عالماً لا فرق فيه بين حى وحى ، ولا بين شىء وشىء ، ولا بين موجود وموجود ؟

إذن هم يريدونه عالماً لا أشياء فيه ولا أحياء فيه ولا موجودات فيه .

لأن الشىء لا يسمى شيئاً إلا إذا كان مخالفاً لشىء آخر فى جوهره أو صفاته . فاذا بطل الاختلاف بين الأشياء بطل قوام الأحياء والموجودات .

فهل يرى المعترضون أنهـم هربوا من مسألة القضاء والقدر إلى مسألة يقبلها العقل وترتضيها النفس ويتصورها الخيال ؟

وأى الصورتين بعـد هذا أقرب الى عقول المفـكرين : عالم فيه اختلاف فى التقدير واختلاف فى الأقدار ؟ أو عالم لا توجد فيه الأشياء ولا توجد فيه الأحياء !

فسألة القضاء والقدر على هذا أقرب الى الفهم من كل مسألة تخطر على بال مفكر فى هذا الموضوع .

وإذا كانت هى الوجه الذى يقبله العقل فالناحية المجهولة منه ينبغى أن تقاس على الناحية المعلومة. فيطمئن الفكر الى موافقتها له ومطابقتها لدواعى الايمان .

أما هذه الناحية المجهولة فهى ناحية التوفيق بين العدل الالهى واختلاف الجزاء على الأعمال .

فاذا وجب أن تختلف الأشياء ويختلف الأحياء ويختلف الجزاء ، فقد وجب أن يكون الجزاء غير مناقض للعقل فى نهاية المطاف ... ونهاية المطاف هذه هى التى يجهلها الانسان ، ويقيسها على ما يعلم فتسرى اليه الطمأنينة فى هذا القياس الصحيح .

***

ويتحدث الأديب صاحب الخطاب عن صديق له يسخر من تبلبل خاطره فى هذه المسألة فيقول : « انه أبرز لى آراء فى هذه المسألة وقال إنها آراء أهل السنة وأخرى قال إنها آراء المعتزلة » ... ولا يدرى أيها أحق بالاتباع .

ولا فائدة من الإطالة فى تفصيل هذه الآراء أو تلك الآراء .

ولكن كاتب الخطاب خليق أن يوقن أن آراء المعتزلة تؤدى الى تبلبل فى الخواطر يعود على صاحبه بسخرية أمر وأنكى . لأنهم يحلون المشكلة بمشكلات ويخرجون من تيه الى أتيـــاه .

ويقولون إن الانسان ينبغى أن يكون حراً لأن الله يحاسبه ، وإن الله لا يحاسبه إلا لأنه حر فى عمله واختياره .

فهم لا يقررون أن الإنسان حر فى عمله واختياره بدليل من الواقع ، بل بفرض من الفروض . فمن أين لهـم أن حساب الله لا يوافق حالة التقدير ، وأنه لابد أن يناقض العدل إذا وجب الايمان بالتقدير ؟ ولماذا يمنون على الله حساباً يتقابل فيه العدل والرحمة وصدق الجزاء والعقاب ؟ واذا وجب التسليم بأن الاختـلاف فى العالم المشهود هو الحالة التى يتحقق عليها الوجود ، فلماذا يجزمون بأن هذه الحالة الواجبة ستناقض مايجب فى مسألة العدل والتوفيق بين العمل والمصير ؟

لو كان المعتزلة ينـكرون وجود الله لجاز أن يبطلوا الحـكمة فى الخلق كله وأن يبطلوا العدل والرحمة فيما هو ظاهر لنا وما هو محجوب عنا، ولـكنهم يؤمنون بالله ويؤمنون بوجوب الاختلاف بين الأشياء والأحياء . فلماذا تضيق قدرة الله عندهم عما يوافق الحـكمة فيما يجهلون ؟

وقصارى القول أن الحل الوحيد المستطاع لعقدة القضاء والقدر هو المقابلة بينها وبين العـقد التى تنتهى اليها اذا أنـكرنا القضاء والقدر ... وأن العدل بمعنى المساواة الشاملة هو العدم بعينه ، لأن المساواة الشاملة تنفى قيام الأشـياء والأحياء . فلا بد من معنى للعدل الإلهى غيرهذا المعنى ، ولاتناقض اذن بين العدل والاختلاف فى تركيب الموجودات ، اذا وجب أن نفهمه فهما غير فهم المساواة فى الأقدار والمساواة فى التقدير .

ونحن نرى فى حياتنا العملية أن الناس يرثون أخلاقهم من آبائهم وأمهاتهم ، وينشأون فى عاداتهم على نشأة بيئتهم وبيئات أسلافهم ، ولـكننا مع هذا لا نبطل التكليف والجزاء ولا نرى أنه عبث فى غير جدوى ، أو أن إلغاء القوانين والعقوبات مساو لبقائها وسريانها ... فهناك نصيب من الحرية يكفى لقيام التكليف فى المسائل الدنيوية ، وهناك نصيب من الحرية يكفى للتوفيق بين العمل والجزاء فى هـذه الحياة القصيرة . فـكيف بالحياة الأبدية التى تدبرها عناية الله ولا يحيط بها علم الانسان ؟

إن مسألة القضاء والقدر عقدة ، ولـكنها عقدة لا ينـكرها المنكر إلا وقع فيما هو أعقد منها ، ولاسيما المنكر الذى يؤمن بوجود الخالق القديم .

أما الذين يبطلون وجوده فانهـم يعطلون العقل جملة فى هذه المسألة وفى غيرها من المسائل ، لأن تفسير العـالم كله بالمصادفة العمياء لايدع مجالاً للاشكال ولاللسؤال ، وكل شىء جائز أو غير جائز . فقد استوى الجائز وغير الجائز على كل حال .

عباس محمود العقاد

من حديث الجهاد

للاستاذ علي الطنطاوي

ركبت الترام أمس وكان ممتلئاً بالناس ، قد قعدوا على مقاعده ، ووقفوا في رحباته ، وتعلقوا بسلالمه ، وكنت قاعداً في الدرجة الأولى ، فرأيت امرأة ملتفة بملاءة على يدها ولد يظهر عليها أنها مسكينة مغلّبة[1] تريد أن تدخل علينا ، فيمنعها رجل بلدي واقف بالباب ، ويقول لها : « دامش مكانك ، دا بريمو ، مكان الخواجات » فتستكين وتقف ، فدعوتها وأقعدتها في محلي ، وهي حائرة لا تدري في خجلها وشكرها ماذا تقول لي ، وسار الترام إلى المحطة التالية ، فنزل ناس وصعد ناس ، وكان فيمن صعد امرأة فرنجية ضخمة كأن خديها زقّان منفوخان ، وكأن ثدييها عِدلان على ظهر أتان ... وأقبلت تزحم الركاب بوقاحة عجيبة حتى دخلت علينا . فلما رأت المرأة قلبت شفتها ، وقلصت وجهها حتى صار كوجه قرد عجوز ... وحمّلته كل ما استطاعت من أمارات الاشمئزاز والكبر ، وضمت ثوبها ترفعاً أن يمس الملاءة ، وأشارت لها بيدها ، أن : قومي ...

فنظرت المسكينة نظرة بلهاء ، وابتسمت ولم تفهم ...

فقالت لها : « دا بريمو ، انتَ بيروخ هناك ، يلا . يلا » ...

فقامت ... فلم أملك أن صرخت بها : « أقعدي » وقلت لهذه الوقحة : « ألا يكفي أنك زاحمتها على خبز بلدها ، وأكلت خيره من دونها ، وغنيت به وفقرت هي فيه ، حتى أردت أن تقيمها لتقعدي مكانها ... »

وكانت ثورة مني عاصفة ، فلم يجب أحد ، ولكن شاباً « مهذباً » استاء مني ، وأراد أن يعلن احتجاجه عليّ ، فنهض قائماً وقال : « تفضلي يا مدام » وأعطاها مكانه ...

* * *

وذهبت أزور رجلا كبيراً ، اعتزل الناس في بيته بعد أن ولج أوسع أبهاء القصور ، وحل في أضخم كراسي المناصب ، وتشقق الحديث معه حتى بلغ الكلام على الإخوان المسلمين فقال : « إنهم سيتسلمون الحكومة يوماً ما ، ولكن الشكلة ، أنهم يريدون العودة إلى الحكم الإسلامي ، ومصر تمدنت وارتقت حتى صارت قطعة من أوربا ، فكيف يمكن أن ترجع إلى أحكام الشرع ؟ »

وسمعت كثيرين من رجالات العرب ، يتظرفون بدس الكلمات الفرنسية أو الانكليزية في أحاديثهم العربية ، من غير داع إليها ، ولا فائدة منها ، ويجدون ذلك رافعاً من أقدارهم معلياً من منازلهم .

ورأيت كثيرين من الشباب تجيئهم بالحكمة أو النظرية فتعزوها إلى صاحبها الشرقي المسلم ، فيلوون وجوههم عنها ، ولا يحفلونها ، فإذا نسبتها إلى الفيلسوف الألماني أو الأديب الانكليزي هشوا لها وبشوا ، وتلقوها بالتجلة والاكبار .

وقرأت لكثيرين من المؤلفين والباحثين فصولا في الدين أو اللغة ، لا مرجع فيها إلا النقل ، ولا تنقل إلا عن أئمتنا وعلمائنا ، فرأيتهم يدعون المنبع ويستقون من ذيول السواقي ، ويتركون مراجعنا ويعزون إلى فلان وعلان من المستشرقين .

وليس فينا من لا يرى تقليد الأوربيين مدنية ، واتباعهم رقياً ، ومن لا يشعر في قلبه بإجلالهم ، ويتمنى أن يزور بلادهم ، ويثقف ألسنتهم ، ويا ليت أنا إذ أحببناهم جمعنا حبهم ، ولم يفرقنا غرامهم شيعاً وأحزاباً لهم ، ويا ليت أنا ارتفعنا اليوم عما وصفه جبران خليل جبران ، منذ ربع قرن ، حين قال : « كان العلم يأتينا من الغرب صدقة وإحساناً ، فنلتهم خبز الصدقة لأننا جياع فأحيانا ذلك الخبز . فلما حيينا به أماتنا ، أحيانا لأنه أيقظ بعض مداركنا ، ونبه عقولنا ، وأماتنا لأنه فرق كلمتنا ، وأذهب وحدتنا ، وقطع روابطنا حتى أصبحت بلادنا مجموعة مستعمرات صغيرة ، مختلفة الأذواق ، متضاربة المشارب ، كل مستعمرة منها تشد في حبل إحدى الأمم الغربية ، وترفع لواءها ، وتترنم بمحاسنها وأمجادها . فالشاب الذي تناول لقمة من العلم في مدرسة أمريكية قد تحول إلى معتمد أمريكي ، والشاب الذي ارتشف رشفة من العلم في مدرسة يسوعية صار سفيراً فرنسياً ، والشاب الذي لبس قميصاً من نسج مدرسة روسية أصبح ممثلا لروسيا » .

* * *

(١) كذلك نقول نحن في الشام ، وهي صحيحة فصيحة ، وفي مصر يقولون غلبانة

فإذا كنا — ولا نريد أن نمارى فى الحق ، ولا نجادل فى الواقع ؛ إذا كنا نطوى قلوبنا على حبهم ، ونغض جوانحنا على إكبارهم ، ونرى أنفسنا صغاراً أمامهم ، ونقلدهم فى كل شىء ونمشى وراءهم ، فماذا ينفعنا قولنا بألسنتنا إننا نكرههم ونعاديهم ، ولا نقعد عن حقنا حتى نناله منهم برغمهم ؟

لقد تعلمت فى المدرسة الابتدائية حكاية لا أزال أذكرها إلى اليوم ، هى أن رجلا كان يذبح العصافير فى يوم بارد ويبكى ، فقال عصفور منها لأخيه : ألا ترى إلى شفقة هذا الرجل ورقة قلبه ؟ قال : ويحك لا تنظر إلى دموعه ، ولكن انظر إلى ما تصنع يداه .

فهل تظنون أن الانكليز والفرنسيين أصغر أحلاماً من العصافير حتى يخدعوا بخطبكم وأقوالكم ، ويعموا عما تصنع أيديكم ؟

* * *

إن قضية فلسطين لم يجر مثلها ولا فى أيام نيرون . ولو قرأناها فى أخبار الأولين ، لما صدقنا أنه يسوغ فى إنسانية البشر ، وعقل العقلاء ، أن تقول لرجل : أخرج من دارك ليأوى إليها هذا الشرد المسكين ، ونم أنت فى الزقاق ، أو اضطجع على الزبالة أو مت حيث شئت . هذا قضاء الدنية ، وهذا حكم الديموقراطية .

وإن حوادث المغرب لم يقع مثلها ولا على عهد محاكم التفتيش أن يذبح عشرات الألوف من الأبرياء ، لأنهم قالوا لمن دخل عليهم بلادهم ، واغتصب أرضهم ، وأكل خبزهم : اطعمنا معك من خيرات أرضنا ، وارفق بنا فى عدوانك علينا ...

فهل أحسسنا حقيقة ببغضاء الفرنسيين والانكليز؟ ألا يزال فينا من يثنى على الانجليز فى الصحف « تقديراً للحقيقة ؟ » ، ويحتفل بدوهامل « تمجيداً للأدب ؟ » ، ويودع المجندات الانكليزيات بالأسى « تقديراً للجمال ؟ » ، ألا يزال فينا نواد أقيمت لتثبيت الصداقة بيننا وبين هؤلاء الذين فعلوا هذه الأفاعيل فى فلسطين والمغرب ؟

فكيف يجتمع الحب والبغض فى قلب واحد ؟

* * *

إننا فى أيام لها ما بعدها ، ومصائب تنسينا أواخرها أوائلها فإذا كنا جادين حقيقة فى إنقاذ فلسطين والمغرب ، وفى العمل لمصر وللعربية وللاسلام ، وكنا نريد أن نكون أمة تستحق أن تعيش ، فيجب أن نتخلص أولا من استعمار الأوربيين أدمغتنا وألسنتنا وبيوتنا ، وأن نحكم عقولنا فلا نقتبس منهم إلا ما نعتقد نفعه لنا ، وأن نثق بأنفسنا ، ونشعر بكرامتنا ، وأن يفهم الحاكم منا أن لنا شرعاً أفضل من قوانينهم ، فيجب أن نقتبس الأحكام من شرعنا ، وأن يعلم الطالب أن لغتنا أكمل من لغاتهم ، وأدبنا أسمى من آدابهم ، وتاريخنا أمجد من تواريخهم ، وأنها لم تخدم أمة العلم ما خدمته أمتنا ، وأن يعتقد التاجر أن من الفرض عليه أن يروج البضاعة الوطنية ، ويقاطع الأجنبية التى تزاحمها ، وأن يؤمن الأديب بأن لهذه الأمة حقاً على قلمه ، أن يدافع عنها ، ويعيد إليها كرامتها ، وثقتها بنفسها ، ويصغر الأجنبى فى عينها ، وأن يفهم أخنع[1] رجل فينا ، أنه أعظم من أكبر خواجة من الخواجات ، أو (مستر) من المساترة أو (هر) أو (سنيور) من السنانير والهررة ، وأن يعلم أنه هو صاحب البلد ، وهؤلاء بين غاصب أو لص أو (شحاد) ، وله هو مقعد الدرجة الأولى فى الترام ، وله الغرفة الأولى فى الفندق ، والمائدة الأولى فى المطعم ، وأنه حينما يقنع بالاقل وبتوارى ويبتعد ، ويدع الأجنبى يملك الأرض ، والعمارات ، والمتاجر ، يكون مجرماً كالجندى الذى ينهزم من المعركة .

وملاك الأمر كله ، أن نعلم أننا نحن أساتذة الدنيا ، ونحن سادتها . عززنا بقرآننا وديننا ، ولا يزال القرآن مبعث عز لنا ، فلنعد إليه ، ولنجعله إمامنا فى حياتنا ، ومعقد فخارنا ، ولندع الدنيا إلى اتباعه لأنه لا فلاح لها إلا به .

إننا اليوم أضعف من الغربيين فى القوى المادية ، فلم يبق لنا إلا القوى الروحية : قوة الإيمان ، وقوة الأخلاق ، وقوة العفاف فلنحافظ عليها ، ولنحارب الإلحاد والنفاق والفجور ، لأنها عون للعدو علينا ، وسلاح له يعمله فينا ، وأن نجرد للعدو جنداً أخرجوا حبه من قلوبهم ، وضلالاته من رؤوسهم ، وعاداته من بيوتهم ، وأبغضوه بغضاً بلغ الشغاف ، وخالط الدم ، وسرى فى الأعضاء ، وظهر فى الأفعال . جنداً ، صدورهم حافلة بالإيمان ،

(١) أخنع : أذل وأوضع .

عامرة باليقين ، يثقون بماضيهم وأنهم يستمدون منه الظفر : من ألف معركة منصورة كانوا أبطالها ، ومن ألف سنة مباركة كانوا ملوك الأرض فيها ، ويثقون بحاضرهم ، وأن دماءهم ما أضاعت هذا الإرث ، ورؤوسهم ما فقدت هذه الذكريات ، ونفوسهم ما خسرت ذلك الشمم وتلك الفضائل ، ويثقون بمستقبلهم ، وأنهم سيملكون الأرض كرة أخرى ، وسيعودون ملوكها .
جنداً : شباباً هم فى الحكمة كالشيوخ ، لم تسترقّهم الشهوات ، ولم تستعبدهم اللذات ، ولم تلعب بهم الصبايا ، وشيوخاً هم فى العزيمة كالشباب ، لم تفتنهم المناصب ، ولم يطغهم الغنى ، ولم يسر فى أعصابهم الخور ...

بهذا الجيش فلنجاهد ، جهاداً متصلا مستمراً ، لا يني ولا يقف حتى يهدم قلاع العدو كلها ، ظاهرها ومضمرها ، وواضحها وخفيها .

إن الجهاد إن لم يبدأ من البيت والمدرسة والجريدة ، فلا يمكن أن ينتهى إلى الساحة الحمراء ، فإذا أردتم أن تبلغوا نهاية الطريق فامشوا من أوله ، وإن شئتم أن تصلوا إلى أعلى السلم فابدأوا من أسفله ، فإن من يمشى من آخر الطريق يرجع إلى الوراء ، ومن ينزل من رأس السلم يصل إلى الأرض !

(القاهرة) علي الطنطاوي

النطق وكيف نشأ

فى النوع الانسانى وفى الحيوانات العليا

للأستاذ نصيف المنقبادى المحامى

١ — هل النطق غريزى فى الانسان ؟

يتعين علينا قبل الدخول فى صميم الموضوع أن نشير الى نقطتين أو حقيقتين مقررتين ثابتتين :

تطور اللغات :

الحقيقة الأولى أن اللغات — وهى مظهر النطق أو صورته فى مختلف الجماعات والبيئات الانسانية — لم توجد كما هى منذ ظهور الانسان على الأرض ولكنها تنشأ وتتطور شأن كل ما فى الكون من جمادات ونباتات وحيوانات (بما فيها الانسان) طبقاً لنواميس النشوء والتطور . فمنذ ألفى سنة لم يكن للغات الفرنسية والايطالية والاسبانية والبرتغالية مثلا أثر من الوجود . فكيف نشأت ووُجدت ؟ لما فتح الرومان باقى أقاليم إيطاليا ثم فرنسا وإسبانيا والبرتغال انتشرت لغتهم اللاتينية فى تلك البلاد وكانوا هم الفاتحون الأقوياء كما أنهم كانوا أرقى من السكان الأصليين فى المدنية والشرائع والعلوم والفنون ، لذلك لم تلبث اللاتينية حتى تغلبت على اللغات المحلية وحلت محلها جرياً على نواميس الانتخاب الطبيعى وما يترتب عليها من انهزام الضعيف وبقاء الأصلح . ولكنها (أى اللاتينية) تطورت بدورها فى كل بلد منها تطوراً مختلفاً باختلاف كل من تلك البيئات الجديدة فتحولت شيئاً فشيئاً فى فرنسا الى الفرنسية وفى إيطاليا الى الايطالية وفى إسبانيا الى الاسبانية وهكذا .

وكما أن الصور أو الحلقات المتوسطة بين الحيوانات والنباتات الحديثة وبين الأنواع القديمة التى تسلسلت منها موجودة وقد كُشف عن الكثير منها متحجراً فى طبقات الأرض التى تكوّنت فى مختلف الأعصر الجيولوجية القديمة ، كذلك الحلقات المتوسطة بين اللغات الحديثة وبين جداتها التى تسلسلت منها ، وأعنى بها المؤلفات التى وضعت بتلك اللغات فى الأعصر المتعاقبة ووصل الينا الكثير منها . فلغة الكتب والرسائل الفرنسية التى وضعت فى القرن العاشر مثلا أو الثانى عشر قريبة من اللاتينية ومن مزيج من اللغات الأصلية المحلية . وكلما اقتربنا من عصرنا الحالى نجدها تقترب من اللغة الفرنسية الحديثة بحيث نستطيع أن نتتبع تطور هذه اللغة التدريجى وتحولها شيئاً فشيئاً من اللغة اللاتينية التى اشتقت منها مع امتزاجها بشىء من اللغات المحلية الأصلية . وهكذا الحال بالنسبة للاسبانية وباقى اللغات المتسلسلة من اللاتينية . بل وسائر اللغات الأخرى .

واللغات اللاتينية واليونانية القديمة (التى اشتقت منها اليونانية الحديثة) والجرمانية القديمة (التى تسلسلت منها الألمانية الحديثة وبعض لغات أوروبا الوسطى والشمالية بل واللغة الانكليزية نفسها) ، ومعظم لغات أوروبا الأصلية متسلسلة بدورها من لغة هندية قديمة وهى السنسكريتية . وجميع هذه اللغات الهندية الأوربية تكتب من اليسار الى اليمين خلافاً للغات السامية مثلا (التى منها العربية) فانها تكتب من اليمين الى اليسار عدا الأرقام لأنها من أصل هندى .

وما يقال عن اللغات الأوروبية يقال عن اللغات الشرقيـة وغيرها . فمنذ ثلاثة آلاف سنة تقريباً لم تـكن اللغة العربية ولا العبرية الحـديثة ولا الحبشية ولا أخواتهـا الحالية قد وجدت . فـكيف نشأت ؟ إنها نشأت وتطورت جرياً على نفس النواميس الطبيعية المتقدم بيانها بفعل العوامل الاجتماعيـــة والسياسية والتاريخية والطبيعية . فاللغة أو اللغات الأصلية القديـمة التى اصطلح على تسميتها بالسامية تطورت تطوراً مختلفاً باختلاف الأقاليم والبيئات التى انتشرت فيها الى أن تحولت الى العربية القديمة ، والعبرية القديمة والمصرية القديـمة (التى اشتقت منهـا القبطية واستبدلت كتابة حروفها باليونانية) ، والحبشية ، والحيرية ، والـكلدانية أو البابلية ، والآشورية ، وغيرها . وقد استمرت عوامل التطور تعمل فى هذه اللغات الأخيرة الى أن تحولت شيئاً فشيئاً الى اللغات الحديثة المعروفة . وسأعود فى آخر هذا المقال الى تطور اللغة العربية فى مختلف البلاد الشرقية .

وكذلك الحال بالنسبة لمجموعة اللغات الطورانية القديـمة والحديثة (التى منها اللغة التركية ولغات آسيا الوسطى) وغيرها من اللغات الأخرى .

وكما أنه توجد فى أنواع النباتات والحيوانات القديمة والحديثة وفى الانسان أعضاء أثرية لا وظيفة لها إطلاقاً بدليل أنه يمكن استئصالها دون أن يصاب الفرد الذى تجرى له هذه العملية بأى ضرر أو نقص فى حيويته ، لأنهـا فى الواقع آثار أعضاء قديمة كانت مستعملة عند أجدادنا البعيدين ثم ضمرت شيئاً فشيئاً لعدم استعمالها عندماطرأت عليهم ظروف جديدة جعلتهم يستغنون عنها ، كذلك توجد فى بعض الألفاظ حروف أثرية لا تنطق ولـكنها تدل على الأصل الذى تسلسلت منه . مثل لفظة Corps الفرنسية أى جسم فان حرفى S و P لا ينطقان ولـكنهما كانا يلفظان فى الأصل اللاتينى Corpus . وكذلك لفظة Sang الفرنسية فان الـ g لاتلفظ هنا ولـكنها كانت تلفظ فى الأصل اللاتينى Sanguis ويجد القارىء الـكثير من هذه الأمثلة فى كتب علم نشوء اللغات وتطورها .

وخلاصة القول إن لغات البشر ليست ثابتة ولم توجد كما هى منـذ ظهور الانسان على الأرض ولـكنها فى تطور مستمر ينشأ الحديث منها من القديم ويتسلسل منه بطريق التطور التدريجى . وسأبين فيما يلى كيف نشأ النطق فى بادىء الأمر كما ينشأ الآن فى الأطفال وفى كثير من الطيور والحيوانات العليا .

النطق غير غريزى فى الانساد :

والحقيقة الثانية التى يجب بيانها هى أن النطق ليس غريزياً فى البشر ولا هو مميز لهم عن سائر الحيوانات وليس « الانسان حيوان ناطق » كما كانوا يعتقدون فيما مضى قبل تقدم العلم .

فاذا فصلنا طفلا عن باقى البشر منذ ولادته وعهدنا فى تربيته الى شخص يتولى ذلك بعيداً عن الناس دون أن يفوه أمامه بأى لفظ، فان هذا الطفل ينشأ عديم النطق بتاتاً إلا مايصدر منه طبيعياً أو فسيولوجيّاً من أصوات الألم والانفعالات النفسية كالتأوهات والهمهمة والتأفف مثلما تفعل الحيوانات كما سنبينه فيما بعد . وقد يلجأ الى بعض إشارات للتعبير عن حاجاته كرفع يده الى فمه اذا أراد الأكل وما الى ذلك من الحركات الطبيعية الآلية . واذا سلمناه الى جماعة من الخرس فانه لايلبث حتى يقلدهم فى إشاراتهم ليعبر بذلك عما يتطلبه من أمور الحياة فيكون فى ذلك كالأخرس دون أن يعرف الى النطق سبيلا .

ويؤيد هذه الحقيقة ، أى أن النطق اللغوى ليس غريزياً فى الانسان بل هو وليد البيئة ونتيجة التقليد السماعى — كما سيأتى بيانه — ماهو معروف للجميع من أن الطفل الذى ينشأ فى وسط قوم يتكلمون العربية مثلا يتكلم هذه اللغة دون غيرها حتى اذا كان آباؤه وأجداده من أبناء لغة أخرى ، وكذلك الحال اذا نشأ طفل عربى محض فى فرنسا بعيداً عن أهله منـذ ولادته فانه لا يتكلم إلا الفرنسية وهكذا . واذن فالنطق ليس بغريزى .

النطق فى الحيوانات :

ومن جهـة أخرى لايخفى أن لـكثير من الطيور وذوات الثدى وعلى الأخص القرود العليا ، وكذلك الحشرات الإجتماعية كالنمل لغات صوتية أو اصطلاحية بسيطة يتفاهم بها أفرادها إلى حـدّ ما . فان لبعض الحيوانات إشارات طبيعية تعبر بها عن انفعالاتها النفسية . فالـكلب مثلا يهز ذيله للترحيب بسيده، ويتفوه ببعض أصوات خاصة لايبديها إلا فى مثل هذا الظرف ،

وهو يرخى ذيله إلى الأرض بين قدميه عند الخضوع والخشوع والخوف وهو والقطط وبعض الحيوانات الأخرى يكمشون آذانهم عند الخوف إذا هددوا مثلا بالضرب .

وللنمل طريقة للتفاهم أشبه بلغة الإشارات التلغرافية . فاذا تقابل إثنان منها من نوع واحد تراها يتلامسان بزوائدهما الأمامية برهة ثم يسير كل منهما فى طريقه . وإذا اكتشف أحدها شيئا من الغذاء يسرع إلى استدعاء باقى أفراد جماعته ، ومعلوم أنه ليس للنمل وسائر الحشرات قصبة هوائية ولا أوتار صوتية نظراً لأنه ليس لها رئتان بل انها تتنفس من مسام عديدة على سطح جسمها ينفذ منها الهواء إلى داخل الجسم ، فلا يمكن والحالة هذه أن تحدث أى صوت تتفاهم به ، ولاشك فى أنها تتحدث مع بعضها بالإشارات بالطريقة المتقدم بيانها (Langage Antennale) .

وليست لغة الحيوانات قاصرة على الإشارات ولكن الكثير منها ينطق بأصوات للتعبير عما يجول فى نفسيتها البسيطة من الانفعالات والمقاصد المحدودة . والذى يرقب القطط مثلا فى المنازل يراها عند رؤية الطعام أو شم رائحته أو عند مايجوع تبدى نغمة خاصة . ولها عند نداء صغارها صوت آخر لاتنطق به إلا فى هذه المناسبة فقط . وللأناث منها عند طلب الذكور صوت معروف أشبه بلفظة « داود »

والببغاء تنطق بكلام البشر بوضوح . وقد دلت المشاهدات والاختبارات على أنها تفهم فى أغلب الأحيان مجمل ما تتفوه به مما تكون قد حفظته من باب التقليد فى بادىء الأمر ثم تكرره وينتهى بها الأمر إلى أن لاتتفوه به بعد ذلك إلا فى المناسبات التى تؤدى إليها معانيه ، بل إنها كثيراً ما ترد على مايوجهه إليها الإنسان بالألفاظ المناسبة مما يدل على أنها تدرك إلى حد ما معانى ماتسمع ومعانى ماتقول . ويتم لها ذلك بالتقليد والتلقين والتمرين كما يحدث للأطفال على وجه التقريب ، ذلك لأن الأطفال يتعلمون بنفس هذه الطريقة : التقليد والتلقين والتمرين .

أما تغريد الطيور فأمره معروف ، وتمتاز به الذكور فى بعض الأنواع لتغرى الأناث حتى تكتسب إعجابها وتفوز بها . وتقيم أنواع أخرى منها اجتماعات على الأشجار أشبه بالحفلات الموسيقية يتبارى فيها الذكور فى النطق بنغمات شجية مطربة لتخطب ود الأناث فتنتخب هذه أجملهم صوتا ، كما أن أنواعا أخرى يتباهى ذكورها أمام الأناث بريشهم الزاهى ، ولهذا كان الذكور أجمل من الأناث لافى الطيور فقط ولكن فى كثير من الفصائل والرواتب الحيوانية الأخرى نتيجة ذلك الانتخاب الجنسى الطبيعى طبقاً لنظرية داروين « Sélection Sxcuelle » . على أن أنصار نظرية لامارك فى أسباب النشوء والتطور يضيفون إلى ذلك التفسير تفسيراً آخر يرجع إلى فعل العوامل الطبيعية الخارجية (البيئة والعوامل الجوية ونظام الحياة والعادة والاستعمال أو عدم الاستعمال الخ) والداخلية (العوامل الفسيولوجية والتفاعلات الكيميائية التى تحدث داخل الجسم وعلى الأخص فعل الهرمونات التى تفرزها الغدد الصما. أى الغدد ذات الافراز الداخلى)

ومما يرجح نظرية لامارك على نظرية داروين فى تفسير تلك الظاهرة ونعنى بها تفوق الذكور على الأناث فى جمال الصوت وزهاء الريش وغزارة الشعر وجمال اللون هو مايحدث فى كثير من أنواع الأسماك حيث تكتسب الذكور فى موسم التلقيح ألوانا زاهية يسمونها فى علم الحيوان « حلة الزفاف » على حين أن تلك الأنواع لاتتزاوج ولاتلقح بعضها تلقيحا فعلياً مباشراً بل إن الأناث تفرز بويضاتها رأسا فى الماء ثم يأتى الذكر ويفرز مادته المنوية فى الماء أيضاً فيحدث التلقيح بين مايلتقى منهما بفعل الأمواج ، وكل هذا دون أن يتصل الذكور بالأناث . فلا شك فى أن الألوان الزاهية التى تطرأ على الذكور إنما هى نتيجة التفاعلات الكيميائية التى تحدثها فى الجسم الإفرازات الداخلية للخصيتين عند نضوجهما وهى التى تنبت مثلا الشوارب وشعر الذقن فى ذكور النوع الإنسانى وتؤثر فى صوتهم وتكسبهم صفات الرجولة ، كما أن إفرازات المبيضين تكسب الفتيات عند البلوغ نعومة المرأة وصفات الأنوثة فيها .

نعود إلى النطق فى الحيوانات فنقول إن للقرود عامة وعلى الأخص القرود العليا الشبيهة بالإنسان (الغوريلا ، والشانبانزيه

والأورنانجوتان ، والجيبون) لغة أو لغات حقيقية وإن كانت على أبسط صور النطق ، مكونة من بعض أصوات أو مقاطع لا تبعد كثيراً عن لغات الأطفال فى أوائل العام الثانى من ولادتهم ولغات بعض القبائل المتوحشة .

وقد التقط بعضهم أصوات أفراد من القرود على اسطوانات فونوغرافية ثم أدارها أمام قرود من نفس النوع فى حدائق الحيوانات فكانت تصغى إليها باهتمام وتنبه وتبدى إشارات وحركات وتنطق بأصوات كأنها ترد عليها .

ومما يؤيد أيضاً أن النطق فى الإنسان والحيوانات ليس غريزياً وإنما هو مكتسب بالتقليد التجربة القديمة الآتية التى أجراها دين بارنجتون الإنكليزى Daines Barrington ودونها فى موسوعته الفلسفية التى ظهرت سنة ١٧٧٣ فى الجزء ٦٣ Philosophical transactions وقد نقلناها من كتاب العالم البيولوجى الفرنسى فيلكس ليدانتك « العلم والشعور » Science et conscience طبع سنة ١٩١٦ صحيفة ١٨١ فقد أخذ بارنجتون عصافير صغيرة عقب ولادتها من نوع Linottes ونقلها إلى عش عصافير من نوع آخر يسمى Alonettes فاقتبست تغريد هذه العصافير بطريق التقليد وظلت تغرده طيلة حياتها كأنها طبعت عليه إلى حد أنه وضعها بعد ذلك مع أفراد من نوعها فلم تستطع أن تجاريهم فى تغريدهم الذى هو تغريد آبائها وأجدادها . ذلك لأن مخ العصافير المحدود يعجز عن وعى شىء جديد غير ما طبع فيه بطريق التقليد فى مستهل حياة هذه الكائنات البسيطة .

* * *

وخلاصة القول إن النطق ليس بغريزى فى البشر ولا هو قاصر عليهم وإنما هو ظاهرة فسيولوجية بسيكولوجية طرأت على بعض الحيوانات وتدرجت حتى وصلت إلى ما هى عليه فى النوع الانسانى . كما أن اللغات ظاهرة اجتماعية

فالانسان ليس بحيوان ناطق كما كانوا يعلموننا فيما مضى وهو لا يختلف فى شىء من هذه الناحية عن باقى الحيوانات إلا فى الدرجة فقط .

وكل ما هنالك هو أن الانسان حيوان ثرثار كثير النطق يحب أن يتكلم بلا انقطاع فى مجتمعاته الخاصة والعامة ، فى كل مكان وزمان ، يختلق المناسبات ليشبع شهوة الكلام ، وإذا تقابل اثنان على غير سابق معرفة فى القطار أو الترام مثلا تراهما يتحدثان ولو فى أتفه المواضيع كالجو والطقس . وإذا لم يجد الانسان من يتحدث معه يظل يتكلم مع نفسه ويكرر مثلا ما قاله أو ما يود أن يقوله لغيره ، وأحيانا يصحب هذا الحديث إشارات يبديها بيده على غير قصد تنم عما يدور فى نفسه . وحتى فى نومه لا يخلو من الكلام ، وكثيراً ما يتفوه وهو على هذه الحالة بألفاظ واضحة أو غير واضحة يسمعها من بجواره . وكثرة الكلام مرض عند بعض الأشخاص يضايقون به غيرهم فيهرب الناس منهم .

وفى المقال التالى نتكلم عن نشوء النطق فى النوع الانسانى ثم نعقبه ببحث خاص عن تطور اللغة العربية[1] .

نصيف المنقبادى
المحامى

(١) كتب هذا البحث قبل ظهور الكتاب القيم فى هذا الموضوع للدكتور على عبد الواحد وافى وسنعود إلى الحديث عن الكتاب .

من كتاب ديارات بغداد :

الديارات وملحقاتها ...

للأستاذ شكرى محمود أحمد

الدير بيت يتعبد فيه الرهبان ، ويكون بين الرياض والحدائق فى ظواهر المدن والأمصار ، أو فى المواضع البعيدة عن الناس كالصحارى والمستشرفات ورءوس الجبال .

وقد أخطأ ياقوت فى الكلام على الدير والتعريف به فى كتاب معجم البلدان بقوله : « ولا يكاد يكون بالمصر الأعظم ، إنما فى الصحارى ورءوس الجبال[1] » . فإننا وجدنا أديرة كثيرة فى ظواهر المدن ، فقطربل مثلا وهى ملاصقة لبغداد فيها دير أشمونى ، قال الشابشتى : « وعيده اليوم الثالث من تشرين الأول[2] ، وهو من الأيام المظيمة ببغداد ، يجتمع أهلها إليه كاجتماعهم إلى بعض أعيادهم ، ولا يبقى أحد من أهل التطرب واللعب إلا خرج إليه ... ويباهون بما يعدون لقصفهم ، ويعمرون شطه وأكنافه ، وديره وحاناته ...[3] » ، وفى قطربل أيضاً دير آخر اسمه دير « الجرجون » ذكره الشابشتى فى الكلام على دير أشمونى .

وقد أحصيت الأديرة التى كانت ملاصقة لبغداد أو قريبة منها فوجدتها تقرب من العشرين ديراً ، وربما كانت أكثر من هذا ؛ أما الأديرة التى حول الحيرة أو قريبة منها فأكثر من عشرين ديراً . وهذا ينقض زعم ياقوت بأن الدير لا يكون فى المصر الأعظم ، وإذا استقصينا الشواهد على نقضه ضاق بنا المجال .

وربما كان قول المقريزى فى التعريف بالدير أقرب إلى الصواب ، فقد قال : « الدير عند النصارى يختص بالنساك المقيمين به ، والكنيسة مجمع عامتهم[4] »

أما قول الفيروز ابادى فى الدير ، والتعريف به فقلق جداً لا يدل على اطلاع فى هذا الموضوع ، فقد قال : « الدير خان النصارى وجمعه أديار[1] » ، والخان يطلق على كل موضع يقام به فى سفر أو غيره .

وقد جاء فى الشعر العربى إشارات كثيرة إلى مواضع الأديرة التى تكون على سفوح الجبال أو فى السهول والرياض . قال أبو الحسين بن أبى البغل الشاعر فى دير الأعلى بالموصل ، وقد اجتاز به يريد بلاد الشام[2] :

انظر إلىّ بأعلى الدير مشترفاً ... لا يبلغ الطرف فى أرجائه طرفا
كأنما غربت غر السحاب به ... فجاء مختلفاً يلقاك مؤتلفا
فلست تبصر إلا جدولا سرباً ، ... أو جنة سدفاً ، أو روضة أنفا

وربما كان هذا الدير «دير الأعلى» أكثر الأديرة ارتفاعاً . قال العمرى : « وله درجة منقورة فى الجبل تفضى إلى دجلة نحو المائة مرقاة[3] » .

وقال ربيعة الضبي يصف إحدى الحسان :

لو أنها عرضت لأشمط راهب ... فى رأس مشرفة الذرى متبتل
جأر ساعات النيــام لربه ... حتى تخـدر لحمه متشمعل
لصبا لبهجتها وحسن حديثها ، ... ولهمّ من ناقوسه بتنزل[4]

ومما جاء فى وصف موضع الدير الذى يكون بين الحدائق والرياض تحف به البساتين والحقول قول ابن المعتز فى دير عبدون :

سقى المطيرة ذات الظل والشجر ... ودير عبدون هطالٌ من المطر
يا طالما نبهتنى للصبوح به ... فى ظلمة الليل والعصفور لم يطر
أصواتُ رهبان دير فى صلاتهم ... سود المدارع ، نعّارين فى السحر[5]

وقال جحظة البرمكى فى دير أشمونى بقطربل ، وقد خرج إليه فى عيد من أعياده ، فلما وصل إلى الشط ، مدّ عينيه لينظر موضعاً خالياً يصمد إليه ، أو قوماً ظرافاً ينزل عليهم ، فرأى فتياناً من أحسن الناس وجوهاً ، وأنظفهم لباساً ، وأظرفهم آلة ، فصعد إليهم وصاح بغلامه : « يا غلام طنبورى ونبيذى ، فقالوا : أما

(١) ياقوت ج ٤ س ١١٩ . (٢) هو الإسم العربى لا كتوبر
(٣) الشابشتى ورقة ١٨ .
(٤) الخطط ج ٣ س ٤٠٩ .

(١) القاموس المحيط مادة دير .
(٢) ياقوت ج ٤ س ١٢٤ .
(٣) مسالك الأبصار للعمرى س ٣٤٠ ، ٣٤١ .
(٤) الأغانى طبعة بولاق ج ١٩ س ٩٣ .
(٥) ياقوت ج ٤ س ١٢٥ .

الطنبور فنعم ، وأما النبيذ فلا ، فجلست مع أحسن الناس أخلاقاً وأملحهم عشرة ، وأخذنا فى أمرنا ، ثم تناول الطنبور وغنيت شعراً لى :

سقياً لأشمونى ولذاتها   والعيش فيما بين جناتها
سقياً لأيام مضت لى بها   ما بين شطيها وحاناتها
إذ اصطباحى فى بساتينها   وإذ غبوقى فى دياراتها[1]

وعلى ذكر أشمونى وخبر جحظة البرمكى وشغره فيه ، يجمل بنا أن نذكر هذه القطعة البارعة لأبى الشبل البرجى فيه ، وهو كصاحبه جحظة من « عصابة السوء » النواسية :

شهدت مواطن اللذات طراً   وجبتُ بقاعها بحراً وبرا
فلم أر مثـل أشمونى محلاً   ألذّ لحاضريه ولا أسرا
به جيشان من خيل وسفن   أناخا فى ذراهُ واستقرا
كأنهما زحوف وغىً ولكن   إلى اللذات قد كرا وفرا
سلاحهما القواقز والقنانى   وأكواس تدور هلم جرا
وضربهما الثالث والمثانى
إذا ما الضرب فى الحرب استحرا
وأسرهما ظباء الدير « طوعاً »
إذا أسد الحروب أسرن قسرا[2]

فالدير إذن يكون على قمم الجبال وسفوحها ، وفى السهول بين الرياض والجنان ملاصقاً للمدن أو بعيداً عنها فى الصحارى والمواضع المنقطعة عن الناس .

ويسمى الدير أحياناً بالعُمْر وجمعه أعمار قال صاحب تاج العروس فى العمر : « والعمر بالضم المسجد والبيعة والكنيسة ، سميت باسم المصدر لأنه يعمر فيها أى يعبد »[3] .

وقد فرق صاحب مراصد الاطلاع بين الدير والعمر ، فخص ما كان منهما قريباً من المدن والعمران بالعمر وما كان بعيداً عنهما بالدير ، وذلك فى قوله : « ... وما كان من مواضع المتعبدات التى فيها مساكن الرهبان بقرب العمران فإنه يسمى العمر »[4] .

وقد مرت هذه اللفظة فى شعر الفتاك والماجنين الذين كانوا يألفون الديارات ويتطرحون فيها . قال أبو نواس :

أذنك الناقوس فى الفجر   وغرد الراهب فى العمر
وحنّ مخمور إلى خمرة   وجاءك الغيث على قدر
يا حبذا الصحبة فى العمر   وحبذا نيسان[1] من شهر
يا عاقد الزنار فى الخصر   بحرمة الحانة والقهر
هات التى تعرف وجدى بها   واكن بما شئت عن الخمر
يا حبذا الجهر بأمر الصبا   ما كنت من ربك فى ستر[2]

وقد أرجع حبيب زيات هذه اللفظة «العمر» إلى أصل آرامى بمعنى البيت والمنزل .

ملحقات الدير :

تشتمل الأديرة على الكنيسة والهيكل ، والقلالى وبيوت المائدة ، ومستودعات الخمور ، والبساتين ومعاصر الكروم والحانات ودور الضيافة ، وحجر الرهبان ، وحجرة لرئيس الدير الذى يشرف على تنظيمه .

ويحف بالدير أحياناً بنايات مرتفعة يسكن كل واحدة منها راهب يقال لها القلالى أو القليات ، ومفردها على الأول قلية ، وعلى الثانى قلاية ، ومعناها الصومعة ، وقد تكون هذه القلالى فى داخل الدير خلف سوره .

وربما كانت هذه اللفظة « قلية » فى الأصل خلية ، وجمعها خلايا لأنها تشبه الخلايا فى شكلها وانتظامها حول الدير .

وقد أخبرنى بعض الأفاضل أن أصل هذه اللفظة يونانى ؛ وهى فى اللغة الأرمنية قليته .

وقد مرت هذه اللفظة فى شعر العصبة النواسية فى مواضع كثيرة نكتفى بقول التروانى فى دير بالحيرة عرف بقلاية القس . قال :

خليـلى من تيم وعجل هديتما
أضيفا بحث الكأس يومى إلى أمسى
وإن أنتما حييتمانى تحية
فلا تعدوا ريحان قلاية القس

(١) الشابشتى ورقة ١٨ ، ١٩ .
(٢) الشابشتى ورقة ١٨ ، ١٩ .
(٣) تاج العروس ج ٣ ص ٤٣ .
(٤) مراصد الاطلاع ج ١ ص ٤٢ .

(١) هو ابريل واسمه فى الشام والعراق نيسان .
(٢) ديوان أبى نواس طبعة آصاف ص ٢٧٦ .

وتنتشر حول الأديرة الحقول والبساتين المعمورة بمختلف الأثمار والأزهار ، وقد كانت الكروم أكثر هذه المزروعات عناية ، وذلك لأن الخمور النصرانية التي كانت تدخر في الأديرة لها شهرة ممتازة يقبل عليها الناس من كل جانب .

واشتهرت الزرفة – وهي قرية ملاصقة لبغداد ، فيها أديرة كثيرة – بالرمان الذي ضرب المثل بجودته حتى قيل الرمان الزرفي . وهذه القرية بين قطربل وبزوغى ، وتبعد عن بغداد ثلاثة فراسخ .

ومن الأثمار التي عني بزراعتها في الأديار الزيتون والنارنج والفستق والبندق واللوز . وكان الرهبان يعنون بزراعة مختلف الزهور كالريحان والآس والزعفران والنرجس والبنفسج يعملون منه التحايا والأكاليل .

وفي الغالب كان الرهبان يعنون بتربية البقر والأغنام للاستفادة من نتاجها لهم ولأضيافهم ، كما كانوا يعنون بتربية النحل للاستفادة من شمعه وعسله .

وكانت الأديرة مزينة بالقناديل والصلبان والدمى ، مصبوغة بالأدهان ، وقد كانت هذه الدمى منقوشة على الحيطان بمختلف الألوان ، ولا حاجة بنا إلى الاستشهاد بالشعر على ذلك لأنها مرت في مواضع كثيرة من الشعر العربي ، حتى أصبح ذكرها من ملتزمات القصيدة – في بعض الأحيان – كذكر الأطلال والدمن والربوع .

في الغالب المشهور أن هذه الأديرة كانت محاطة بالأسوار المرتفعة خوفاً من اللصوص وقطاع الطرق والفتاك . وربما كان لها باب حديد كدير الأسكون[1] بالحيرة ، أو باب حجر كدير باطا ، ويسمى هذا الدير أيضاً « دير الحمار » وقد كان بين الموصل وتكريت قال ياقوت : « .. وله باب حجر يذكر النصارى أن هذا الباب يفتحه الواحد والاثنان ، فإن تجاوزوا السبعة لم يقدروا على فتحه .. »[2] .

ولكن هذه الأسوار المرتفعة ، والأبواب الحديدية القوية لم تكن لتحمي الرهبان والراهبات على كثرة عددهم من اللصوص والفتاك ، فقد أصيبوا كثيراً بالنهب والقتل وهتك الحرم .

وقصة اللصوص في دير المذارى خير شاهد على ذلك ، وخبر

(1) ياقوت ج ٤ ص ١٢٣ .
(2) ياقوت ج ٤ ص ١٢٥ .

الحادث يرويه لنا الجاحظ في كتابه « المعلمين » وهذا الكتاب مفقود ، لكن الخبر ينقله عنه البكري والبلاذري وياقوت والشابشتي والعمري . قال : حدثني ابن فرج الثعلبي أن فتياناً من بني ملاص من ثعلبة ، أرادوا القطع على مال يمر بهم قرب دير المذارى ، فجاءهم من خبرهم أن السلطان قد علم بأمرهم ، وأن الخيل قد أقبلت تريدهم ، فاختفوا في دير المذارى . فلما حصلوا فيه ، سمعوا أصوات حوافر الخيل التي تطلبهم وهي راجعة من الطلب فأمنوا . فقال بعضهم لبعض : ما الذي يمنعكم أن تأخذوا القس وتشدوه وثاقاً ، ثم يخلو كل واحد منكم بواحدة من هذه الأبكار ، فإذا طلع الفجر تفرقنا في البلاد ؟ وكنا جماعة بعدد الأبكار اللواتي كن في حسابنا أبكاراً . ففعلنا ما أجمعنا عليه ، فوجدناهن كلهن ثيبات قد فرغ منهن القس .

وينظم أحد هؤلاء اللصوص قصتهم هذه مع الرواهب قائلا :

ودير المذارى فضوح لهن وعند اللصوص حديث عجيب
خلونا بعشرين ديرية ونيل الرواهب شيء غريب
إذا هن يرمزن رمز الظراف وباب المدينة فج رحيب
وللقس حزن يهيض الفؤاد ووجد يدل عليه النحيب[1]

واشتهرت قصة دير المذارى هذه حتى وردت في مواضع مختلفة في الشعر العربي .

وفي أحداث سنة ٤٤٩ هـ (١٠٥٧) يذكر صاحب مرآة الزمان : « فيها صمد عشرون رجلا من الغز إلى دير للنصارى بميافارقين ، فيه أربعمائة راهب ، فذبحوا منهم مائة وعشرين واشترى الباقون نفوسهم بست مكاكي فضة وذهب »[2] .

فالأسوار المرتفعة والأبواب الحديدية التي كانت تحصن الأديرة لم تحافظ على الرهبان والرواهب ، لذلك نجد أكثر هذه الأديرة متجمعة بالقرب من المدن الكبيرة ، والمواصم المزدحمة ، والأمصار المأهولة خوفاً من اللصوص وقطاع الطرق والفتاك .

أما الكرح بالكسر فبيت الراهب ، ويكون أصغر من القلية ، يسكن فيه الراهب إذا قعدت به الحال ولم يستطع الحصول على قلية . وجمع الكرح أكراح ، ويجيء جمعه أيضاً على صيغة التصغير أكيراح . قال ابن منظور في اللسان ج ٣ ص ٤٠٥ هي

(1) معجم ما استعجم ص ٣٧٦ ، آثار البلاد للقزويني ص ٢٤٨ ، ياقوت ج ٤ ص ١٥٧ .
(2) حبيب زيات ص ٣٠٠ .

بيوت للرهبان يخرج إليها النصارى في بعض أعيادهم . ومعنى هذه اللفظة اليونانية الكوخ الصغير .

وأشهر المواضع التي عرفت بالأكيراح هو دير حنة بالحيرة الذي وصفه أبو نواس في موضعين ، قال :

دع البساتين من ورد وتفاح
واعدل هديت إلى ذات الأكيراح
اعدل إلى نفر دقت شخوصهم   من العبادة إلا نضو أشباح
يكررون نواقيساً مرجعة   على الزبور بامساء واصباح
تنأى بسمعك عن صوت تكرهه
فلست تسمع فيه صوت فلاح
إلا الدراسة للانجيل في كتب   ذكر المسيح بابلاج وإفصاح
يا طيبه وعتيق الراح تحفتهم
بكل نوع من الطاسات رحراح
يسقيكها مدمج الخصرين ذو هيف
أخو مدارع صوف فوق أمساح[1]

ويصف في موضع آخر من شعره رهبانه ورواهبه ، وكيف أصبحوا أنضاء من العبادة :

يا دير حنة من ذات الأكيراح
من يصح عنك فإني لست بالصاح
رأيت فيك ظباء لا قرون لها   يلعبن منا بألباب وأرواح
دع التشاغل باللذات يا صاح   من العكوف على الريحان والراح
واعدل إلى فتية ذابت نفوسهم   من العبادة نحف الجسم أطلاح
لم يبق فيهم لرائيهم إذا حصلوا   خلاف ما خوفوه غير أشباح
تلقى بها كل محفو مفارقه   من الدهان، عليه سحق أمساح
لا يدلفون إلى ماء بآنية   إلا اغترافاً من الغدران بالراح

والغريب أن ناشر مسالك الأبصار يقول إن الأكيراح : بلد نزه كثير البساتين والرياض والمياه[2] .

والصحيح ما أثبتناه من أن الأكيراح هي بيوت صغيرة تشبه القبة يسكنها راهب واحد إذا لم يستطع الحصول على قلية .

(بغداد) **شكري محمود أحمد**
مدرس العربية بدار المعلمين الابتدائية

(١) ديوان أبي نواس طبعة آصاف ص ٢٦١ .
(٢) مسالك الأبصار ص ٣١٤ .

خواطر مسجوعة :

فلسفة الفـــأس ...

قال صاحبي : هل ذكرت الفأس في كتابك ، وعطفت عليها بآدابك ؟ قلت : نعم وصفتها ، وأنصفتها . فاسمع أيها الصاحب الرشيد ، ما تريد :

الفأس في تكوينها لا تزيد ، عن قطعة من حديد ؛ رُكّبت في غصن تمرد بعد لين ، وتجرد بعد تزيين . هذه في تكوينها هي الفأس ، أداة البأس ؛ فإن لم يدل صنعها على المهارة ، فإن وراءها روح جبارة ؛ تردّ الشظف إن عدا ، وتصد السغب إن اعتدى ...

رأيت حامل الفأس في الصباح ، كجندي شاكي السلاح ؛ يُذِل بطش العيش ببطش شديد ، ويفُلّ بأس البؤس ببأس الحديد ؛ فقلت بخ بخ أيها الإنسان ، هكذا المرء نصان ! وبهذا الفأس يتحطم اليأس ! سر في طريقك غير ملوم فلن يثنيك عن الحرية غشوم ! وواصل الكد في إيمان ، وابحث عن الرزق في اطمئنان ؛ غير مسحور بكذب الآمال ، ولا مأسور بذهب الأغلال ، فإن فأسك أمضى في النقمة ، من السيف في الممعمة ؛ وأسرع في الإجابة ، من القلم في الكتابة ؛ فلو حكمت بأنها أعز من حسام الكميّ ، وأغلى من يراع العبقري ، لكنت في حكمك صائباً ، ولم تك كاذباً !

والفأس في يدك أيها الزارع ، كالمبضع في يد الطبيب البارع ؛ لها رهبة السلاح ، وعليها سمة الإصلاح ، تعمل حدها في الأرض ، فتنسق كثافتها ، وتستأصل آفتها . وتمهد السبيل للماء . وتمد الحقل للنماء ...

وحسب الفأس شرفاً أنها تؤتى نائلها ، وتحمل حاملها ؛ بل تحنو على من يحنو عليها ؛ وتعز من يلتجيء إليها ؛ فترحمه من المن ، وتقيه سوء الظن ؛ وتدرّبه بطول الركوع على الخضوع لله ، وتهون عليه ما تعقد من أسباب الحياه !

حامد بدر

الأدب في سير أعلامه :

٥ ـ تولستوى

[قمة من القمم الشوامخ في أدب هذه الدنيا قديمه وحديثه]

للأستاذ محمود الخفيف

فتى حائر



كان ليو في نحو الثالثة عشرة من عمره حينما انتقل مع إخوته إلى قازان ؛ وكان جدهم أحد حكام قازان من قبل فكان الصبية ملحوظي المكانة في مضطربهم الجديد وكان يصحب كل صبي منهم خادم خاص جيء به من بين عبيدهم في ياسنايا ، وترفع الصبية عمن حولهم من الناس إلا من كانت لهم مثل مكانتهم ولذلك قلت خبرتهم بقازان وأهل قازان ...

وكانت عمتهم يوشكافا التي يعيشون يومذاك في رعايتها طيبة القلب ولكنها لم تكن على قدر من الثقافة كبير ، وكان زوجها من ذوي الثراء يجعل أكثر وقته للموسيقا ولعب الورق إليها ؛ ولذلك كثيراً ما كان يغشى بيته جماعات من أصحابه وكثيراً ما صرف الصبية عن الجد من الأمور مشاهدتهم هذه الجماعات وأوحى إلى نفوسهم اللعب واللهو فكان لذلك سوء أثره في دروسهم.

ولكن ليو لا يسرف في ذلك إسراف إخوته ، بل إنه ليميل إلى مجافاتهم إلى حد ما منذ أن رآهم يتغيرون عما ألفهم ، ورأى في أذواقهم وميولهم ما يحس أنه غريب عليه جديد عليهم وما لا يسعه إلا أن ينكره منهم بينه وبين نفسه .

ولعله ما أنكر ذلك منهم إلا لأنه لا يستطيعه لنفسه ، فقد عاوده ما يكدر نفسه من اهتمامه بهيئته وماذا عسى أن يكون وقعها في النفوس ؛ وإنه ليطيل النظر في المرآة فلا تعجبه أذناه الكبيرتان ولا أنفه المفرطح الواسع المنخرين ولا عيناه الشهباوان الجاحظتان بعض الشيء ، ولا شفتاه الغليظتان بعض الغلظ .

على أن له في القراءة مصرفاً عن هذا ، وعزاء ومتعة غير ما يسعى إليه إخوته من متعة ؛ وهو اليوم في الرابعة عشرة من عمره يلتهم ما تصل إليه يده من الكتب التهاماً ؛ ولن يزال مكباً على كتابه ساعات طويلة حتى لينسى نفسه ، لأنه يعيش بخياله فيما يقرأ ؛ وكان مما قرأه يومئذ كتاب ألف ليلة وقد أثرت في خياله وحسه قصة « الأربعين لصاً » تأثيراً قوياً وكذلك فعلت قصة الأمير « قمر الزمان » ؛ وقرأ الغلام شعر بوشكين وأعجب بقصيدته عن نابليون ، وراقته قصة « الدجاجة السوداء » للكاتب الروسي بوجورولسكي ؛ وقرأ الأناجيل وكم تأثر قلبه بقصة يوسف فإن أثرها فيه كان على حد قوله هائلا ، ولم يزل بعد ذلك بسنين يصف ما أعجبه من وجازتها وبساطتها وصدقها ، ولم يكد يبلغ الخامسة عشرة حتى أصبح مسحوراً بجان جاك روسو ، وإنه من فرط تأثره به ليكاد ينسى كل شيء غيره ، وقد بلغ افتتانه به أن استبدل صورة له بما كان يضع فوق صدره من صليب ، وأقبل على اعترافاته وكتابيه « إميل » و « هلويز الجديدة » يقرأها مرة بعد مرة ، وكلما أعاد قراءتها ازداد حبه لها واشتد تأثره بها . قال بعد ذلك يصف هذا السحر « كانت صفحات كثيرة منه وثيقة الصلة بنفسي ، حتى لقد خيل إلي أني أنا الذي كتبتها لا محالة » .

ويمتلئ ذهن الفتى في السادسة عشرة بكثير من مسائل الفلسفة ، بل إنه ليطمع أن يحل ألغاز هذا الوجود فيشغل نفسه بالنظر في خلود الروح ووظيفة الإنسان في هذا الكون وصلته به وإمكان وجود حياة أخرى إلى أمثالها من المعضلات والمسائل .

وينظر الفتى في نفسه فيصل إلى رأي ، وذلك أن سعادة المرء لا تتوقف على العوامل الخارجية في ذاتها ولكن على صلة الإنسان بهذه العوامل ، ومن ذلك مثلا أن الإنسان إذا أخذ نفسه بالتقشف وتعود الآلام ألف شقاء العيش وآلامه فلن يشقى به ولن يألم منه

وعلى ذلك فقد أخذ نفسه بألوان من العنف والشدة كأن يحمل بعض الكتب الثقيلة زمناً ويداه ممدودتان ، وكان يضرب جسمه وقد تعرى بحبل حتى تدمع عيناه ، ثم إنه يقنع نفسه بأن التفكير فى الموت أمر لا محل له وللأنسان أن يستمتع بالساعة التى هو فيها فالموت أمر لا بد منه والحياة أنفه من أن يُعنى بها المرء قلبه ، فليمرح الفتى ماوسعه المرح ولينصرف عن الدرس وليقبل على كل ما يلذه من طيبات الحياة خيرها وشرها وليقض وقته فى قراءة القصص وأكل الحلوى ...

ويحاول أن يتدسس إلى أعماق نفسه ليرى ماذا يجرى فى شعوره فيصل به الأمر إلى ما يقرب من الخبل . تجد ذلك فى قوله « وكنت أفكر فى أنى أفكر فيما كنت فيه أفكر » وإنه ليستغرق فى تفكيره هذا حتى ليأكل ما فى يده ذات مرة من ديدان كان أعدها طعماً للسمك أثناء صيده ثم يمج الديدان من فيه بين الضحك والتقزز .

ولا يلبث الفتى حتى يجد نفسه قد أخذه التشاؤم من جميع أقطاره ، ثم يجد نفسه مستغرقاً فى هذا التشاؤم استغراقاً ، فلافكاك له منه ولا منتدح عنه . تجد ذلك واضحاً فى عبارة جاءت له فى كتابه «عهد اليفاعة» ، ولئن كان هذا الكتاب كسابقه «عهد الطفولة» وكلاحقه « عهد الشباب » لم يكتب على أنه تاريخ حياته فأن أكثر ما جاء فيه من وصف لشخصيات خلقها وأكثر ما جاء على ألسنة هذه الشخصيات يدور حول حياته ومن كان له بهم فى هذه العهود صلة . قال « لم تشتد نزعة فلسفية فى نفسى كما اشتدت نزعة التشاؤم ، تلك النزعة التى أشرفت بى ذات مرة على حافة الخبل فقد تخيلت أنه ما من شىء أو شخص هو قائم فى هذا الوجود بجانب شخصى ؛ وأن الأشياء جميعاً ليست أشياء فقط ، ولكنها صور تحس لاتظهر إلاعند ما أتجه بفكرى إليها ، وإنها لتختفى حين ينتهى تفكيرى فيها ؛ وقصارى القول أنى وافقت شلنج فيما ذهب إليه من أن الأشياء لا وجود لها فى ذاتها وإنما الوجود هو علاقتى بها ؛ ومرت بى لحظات وصلت فيها تحت تأثير هذه الفكرة المتسلطة على إلى حالة من الخبل حتى لألتفت فى سرعة حولى كى أدرك اللاشىء ... لقد ازدهتنى هذه الكشوف الفلسفية التى بلغتها وأثارت غرورى إلى حد عظيم ، وكثيراً ما تخيلت أنى رجل عظيم يكشف حقائق الخير بنى الأنسان ، وبهذا الشعور الذى انطوت عليه نفسى ، شعور الكبرياء نظرت إلى باقى البشر ، ولكنى ما واجهت أحداً من هؤلاء الفانين إلا أحسست بالخجل حياله ، الأمر الذى يحمل على كثير من العجب ، وكلما رفعت قدرى فى نفسى شعرت أنى أقل مقدرة لا على إظهار ما يخالجنى من شعور الرفعة فحسب ، بل كذلك على أن أعود نفسى أن أتجنب الخجل الذى يعترينى من أبسط كلماتى وحركاتى » .

وتتوزع فؤاده هواجس الشباب وأحلامه ، فبينما هو مستغرق فى تشاؤمه مسرف فيه ، إذا به يميل بغتة إلى التفاؤل فيجمع عزمه على أن يجد فى تحصيل دروسه وأن يكون خير مثال للطالب المجتهد ، ويذهب به التفاؤل إلى حد أن يعتزم العمل على أن يكون موضع إعجاب كل من يراه من الناس فان لم يتفق له هذا فى نواحى الكفاية والبطولة ، فليس ذلك بمانعه أن يبلغ مأربه فى أن يصبح أغنى بنى الدنيا وأشهرهم مكانة .

ولكنه لا تكاد تنقضى أيام على ما عقد عليه العزم حتى يعود إلى تشاؤمه وإلى بطالته ولهوه ، ثم إنه يطلق العنان لرغبات جسده ، وهو فتى قوى البدن متدفق الحيوية يكاد يلتهب مما يخالجه من رغبات هذا البدن على الرغم من إسرافه فيما يطفىء به هذا الظمأ المتصل به ؛ وما يزال به شيطانه يغريه ويزين له كثيراً من الإثم ، ويسوقه إلى مهاوى الفتنة حتى يوقع فى حبائله فتاة من الخدم ذات ملاحة فيغويها ويقضى منها وطره ! ويبلغ نبأ هذا الإثم عمته فتطرد الفتاة من البيت إلى حيث تتلقاها مهاوى الرذيلة ثم يطويها الموت قبل أوانه على صورة محزنة نكراء ...

وما يعنينا هذا الفعل إلا لأنه استقر فى أعماق وجدانه . فكان منه حين تجاوز السبعين من عمره صورة فذة لأهم شخصية فى قصة تعد من أعظم آثاره الفنية وأخلدها ألا وهى قصة (البعث)

ويضطرب الفتى اضطراباً شديداً بين وساوس الشباب ، فما يكاد يخالجه الندم على ما يعده تفريطاً منه فى جنب الفضيلة ، حتى يستسلم ثانية إلى الرذيلة ، ثم يعود فيجمع عزمه على الورع والطهر والعفة وعلى أن يأخذ نفسه بالجد من الأمور ، ولكنه

لا يلبث حتى ينقاد إلى ما يوسوس له به شيطانه .

وهكذا ما يزال الفتى يتعلق بالكمال مرة ، وينحدر حتى يقرب من قرارة الانحطاط مرة ، ويرضى عن نفسه حيناً ويجثم على صدره الندم حيناً ، دون أن يستقر على وضع أو يركن إلى رأى ...

والمرء أن يعجب حقاً من أن تشغل الفتى مثل هاتيك الأمور فى سن كسنه يومئذ ؛ ولقد كان بعد ذلك بسنين يشعر بما عسى أن تثير من عجب ، بل إنه كان يخشى ألا يصدقها المرء أو أن يردها إلى المبالغة فى القول كما ذكر ذلك فى كتابه « عهد اليفاعة » . فما كان التفكير المتصل فى الحياة والناس ، وما كانت الرغبة فى بلوغ الكمال وتلمس السبيل إلى تحقيق تلك الرغبة مما يكافىء تلك السن ، ولولا ذلك الوضع الذى كان فيه وهو حدث لم يلتحق بعد بجامعة من الجامعات ، وحسب أنداده أن يقرأ الفتى منهم قصة أو يلهو بديوان شعر ...

ولكنه كان فيما يشبه الحمى يومئذ بما يجول فى رأسه من أفكار وما يهجس فى نفسه من خواطر ، وما يلج تلك النفس الحائرة من رغبة فى السمو ومن طموح نحو المثل الأعلى . وإن تولستوى الفتى اليوم لهو صورة مصغرة لتولستوى الكاتب العظيم فى غد ، يوم يشتغل ذهنه الجبار بالفن وبالدين وبمسائل الاجتماع ، ويوم يبحث حائراً قانطاً أول الأمر عن الغرض من هذه الحياة ، حتى تنزل السكينة عليه إذ يرى أن الغرض من الحياة يتلخص فى العمل على السمو بها نحو ما يريد الله من كمال .

وإن تحمسه للمعرفة على هذه الصورة واهتمامه بأن يبلغ ما يطمح إليه من رفعة لدليل لا يدع مجالا للريب على أنه فطر على البحث عن الحقيقة وأنه من العباقرة القلائل الذين تفطن بهم الإنسانية إلى سر وجودها ، والذين يأتون إلى العالم على فترات من الزمن ليقيموا الدليل بوجودهم فى ذاته على أن حياة الإنسان جديرة بأن يحياها الإنسان .

وإنك لتجد مثالا لما كان يمنى به نفسه يومئذ فيما جاء بكتابه « عهد اليفاعة » قال :

« كنت يومئذ فى نحو السادسة عشرة ، وكان الرفاق لا يزالون يترددون على ، وكنت أتهيأ فى فتور وكره لألتحق بالجامعة ... وفى ذلك الوقت الذى أعده نهاية اليفاعة وبدء الشباب ، كانت تقوم أحلامى على مشاعر أربعة : أولها حبى « لها » تلك المرأة الخيالية التى كنت أحلم بها دائماً على وتيرة واحدة والتى كنت أتوقع أن ألقاها فى أية لحظة فى أى مكان ما ؛ وثانيها محبتى فى أن أغدو محبوباً ، فقد رغبت فى أن يعرفنى كافة الناس وأن يحبونى ، ورغبت فى أن أصرح باسمى فأجد من الناس جميعاً مايدل على اهتمامهم بما أصرح به وأراهم يحيطون بى فيسمعونى شكرهم إياى على أمر ما ؛ وثالثها أملى فى حظ عظيم غير عادى ، وقد بلغ من تسلط هذا الأمل على أن أشرف بى على الجنون ، ورابع مشاعرى وهو أهمها كان إحساسى باشمئزازى من نفسى واستشعارى الندم ، ولكنه كان ندما ممتزجا بالأمل فى السعادة ولذلك لم يخالطه الحزن ... ولقد أحسست السرور فى نفورى من الماضى وحاولت أن أجعله أكثر اسوداداً مما كان عليه فى واقع الأمر ، وذلك أنه كلما كانت ذكرياتى عن الماضى أكثر سواداً ، ظهر لى الحاضر الناصع الواضح أكثر وضاءة ووضوحا ، وتراءت لعينى أحلام المستقبل أكثر جمالا وبهجة ، ولقد كان ذلك الصوت المنبعث فى نفسى صوت الندم والرغبة القوية الحادة فى بلوغ الكمال هو الاحساس الرئيسى لروحى فى تلك الحقبة من نموى ، وكان هو الذى رسم لى أساس نظراتى فى نفسى وفى البشرية وفيما خلق الله من كون »

وكان له يومئذ صديق فى قازان ، كان فتى طويل القامة ، عريض المنكبين حسن الهيئة ، فى وجهه ملاحة ورقة ، يبتسم عن أسنان جميلة دقيقة ، ويزين رأسه شعر مسبل ناعم ، ولكنه كان على الرغم من ذلك خجولا كصاحبه إذا لقى الناس ، بل لعله كان أشد منه خجلا وأكثر حساسية ...

وقد حبب هذا الفتى إلى تولستوى إخلاصه لما يعتقد من رأى وتحمسه له وصراحته فى التعبير عما فى نفسه مهما يكن من أمر ، وقد سأل دياكوف ذات مرة ـ وهذا هو اسمه ـ صاحبه تولستوى قائلا أتدرى لماذا أحبك أكثر مما أحب غيرك ؟ ذلك لأنك صريح لاتكتم شيئا فى نفسك ، وهكذا يجتمع الفتيان

على الصراحة فتربط بينهما ، وإنهما ليتقاربان في كثير من ميولهما ، ويتضح لها ذلك فيما يديرانه بينهما من حوار في أمور كثيرة ، فيما يتصل بالدين وفيما يتصل بالمجتمع وأركانه من حكومة وتعليم ونظم مالية وما إليها

ولقد كان هذا الفتى شديد التأثير في حياة صاحبه فما فرغ من محاورته مرة إلا قويت في نفسه الرغبة في العمل على الكمال المنشود ، والانطلاق من حياة اللهو والعبث ، تلك الحياة التي يذهب فيها العمر سدى ، ولئن لم يك لتولستوي ما لصاحبه من حسن الهيئة فليس ذلك بمانعه أن يعمل على كسب مايحمل الناس على الإعجاب به مما هو أهم وأجدى من النظر وحسن الطلعة ، بل إنه لحافزه إلى ذلك العمل الذي يعقد عليه عزمه .

على أنه عزم كأكثر ما يعتزم الشباب فما يلبث أن يذهب فيما تحيطه به الحياة من مسراتها ومغرياتها ، ولكم اضطرب تولستوي بين عزمه وبين لهوه ، ولكم جدد العزم ثم تحلل من عزمه

وكان ديا كوف هو شخصية ديمتري في كتابه « عهد اليفاعة » فما يفوت كاتب الغد أن يصور أشخاصه كما رآهم في مضطرب الحياة ، ولن ينسى شيئا مما رأى أو يسمع عن أمر يتصل بما يقوم في رأسه من فكرة مهما بلغ من ضآلة هذا الأمر ، وتلك ناحية من أهم نواحي مقدرته الفنية يوم يغدو أعظم من كتب القصة في أدب قومه وأحد أفذاذها القلائل في أدب أوربا كله ...

وستمضي الأعوام ويبقى أثر ديا كوف في نفسه ، فقد كان مما أوحته اليه صحبته عبادة الفضيلة ، وأن غاية الإنسان في الحياة العمل على بلوغ الكمال والسمو بالنفس أبدا ، وسوف يظهر أثر ديا كوف في قصة الحرب والسلم فيما جاء على لسان «أندري» أحد شخصيات القصة قبل معركة أوسترلتز إذ يقول « إني أرغب في المجد ، أرغب أن أكون معروفا عند الناس وأن يحبني الناس ، وما لي رغبة غير هذه ، وما أعيش إلا من أجلها ... وإني وإن كان ذلك مني أمراً مروعاً غير طبيعي لأضحي حتى بأعز الناس عندي في سبيل لحظة من المجد والفوز على الرجال ومحبة من لا أعرفهم من الناس ومن سوف لا أعرفهم بعد أبدا

(يتبع) الخفيف

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٨٧٤ — الله

التبصر في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين لأبي المظفر عماد الدين الأسفرايني :

إن الله لا يجوز عليه الكيفية والكمية والأبنية ، لأن من لا مثل له لا يمكن أن يقال فيه : كيف هو ؟ ومن لا عدد له لا يقال فيه : كم هو ؟ ومن لا أول له لا يقال له : مم كان ؟ ومن لا مكان له لا يقال فيه : أين كان ؟

وقد جاء فيه عن أمير المؤمنين علي (رضي الله عنه) أشفى البيان[1] حين قيل له : أين الله ؟

فقال : إن الذي أين[2] الأين لا يقال له : أين .

فقيل له : كيف الله ؟

فقال : إن الذي كيّف الكيف لا يقال له : كيف .

وسأله آخر : ما جهة وجه الله ؟ فأمر حتى أتى بشمعة فوضعها في أنبوبة قصب ، فقال للسائل : يا وجه هذه الشمعة ؟ وبأي جانب يختص ؟

فقال له السائل : ليس بمختص بجانب دون جانب

فقال : ففيم السؤال إذن[3] ؟

(١) قلت : القول لقائله وقد أردت تقويته بعزوته .

(٢) هذا الفعل : (أين) مثل الفعل (كيف) — هو من المولد، وقد جاء (التكييف)في(النهج) كما جاء (الأزل) ولولا المولد ماسار العلم في المدنية العربية الاسلامية ذلك السير .

(٣) قال صاحب التبصير : معناه إذا جاز أن يكون في المخلوقات شيء لااختصاص له بجهة دون جهة ، فلم لا يجوز أن يكون خالق الخلق غيرمختص بجهة دون جهة .

٨٧٥ — ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم

الفصل[1] في الملل والأهواء والنحل لابن حزم :

إن اليهود يقولون للدنيا أربعة آلاف سنة ونيف ، والنصارى يقولون : للدنيا خمسة آلاف سنة ، وأما نحن فلا نقطع على عدد معروف عندنا ، وأما من ادعى في ذلك سبعة آلاف سنة أو أكثر أو أقل فقد كذب ، وقال ما لم يأت قط عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيه لفظة تصح ، بل صح عنه (عليه السلام) خلافه ، بل نقطع على أن للدنيا عمراً لا يعلمه إلا الله (عز وجل) قال الله (تعالى) [ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم] وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) « ما أنتم في الأمم قبلكم إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في الثور الأبيض » هذا عنه (عليه السلام) ثابت ، وهو (عليه السلام) لا يقول إلا عين الحق ، ولا يسامح بشيء من الباطل ...

٨٧٦ — أثر العربية والأدب في يهودي

عيون الأخبار لابن قتيبة : ... أبو العيناء قال : كان بالبصرة لنا صديق يهودي ، وكان ذا مال ، وقد تأدب وقال الشعر ، وعرف شيئاً من العلوم ، وكان له ولد ذو كور ، فلما حضرته الوفاة جمع ماله وفرقه على أهل العلم والأدب ، ولم يترك لولده ميراثاً فعوتب على ذلك فقال :

رأيت مالي أبرّ من ولدي فاليوم لا نحلة ولا صدقه
من كان منهم لها فأبعده الله ومن كان صالحاً رزقه

٨٧٧ — فلو أنني لاقيته ما عرفته

تتمة اليتيمة : أبو الحسن محمد بن الحسين المنّاني قال :

أنشدني ابن المغربي الوزير لنفسه في بلوغ الغاية من السلوة ، ولم أسمع في معناه أبلغ منه :

حبيب ملكت الصبر بمفراقه على أنني علقته وألفته

(١) الفصل في اللغة جمع الفصلة ، في اللسان : الفصلة النخلة المنقولة المحولة وقد اقتلعها عن موضعها ، خير النخل ما حول فسيله عن منبته ، والفسيلة المحولة تسمى الفصلة ...

محا حسنُ يأسي شخصه من تفكري
فلو أنني لافيتـــه ما عرفته

٨٧٨ — اقعد ، اجلس

وفيات الأعيان : هو (أى ابن خالويه) القـائل : دخلت يوماً على سيف الدولة بن حمدان ، فلما مثلت بين يديه قال لى : اقعد ، ولم يقل : اجلس ، فتبينت بذلك اعتلاقه بأهداب الأدب واطلاعه على أسرار كلام العرب . وإنما قال ابن خالويه هذا لأن المختار عند أهل الأدب أن يقال للقائم : اقعد ، وللنائم والساجد : اجلس ، وعلله بعضهم بأن القعود هو الانتقال من العلو إلى السفل[1] ، ولهذا قيل لمن أصيب برجليه : مقعد ، والجلوس هو الانتقال من السفل إلى العلو ، ولهذا قيل لنجد : جلساء لارتفاعها وقيل لمن أتاها : جالس ، وقد جلس ، ومنه قول مروان بن الحكم لما كان والياً بالمدينة يخاطب الفرزدق :

قل للفرزدق والسفاهـــة كاسمها
إن كنت تارك ما أمرتك فاجلس

أى اقصد الجلساء ، وهى نجد[2] .

٨٧٩ — أمر لا يدرك إلا بالذوق

ابن أبي الحديد : إن معرفة الفصيح والأفصح ، والرشيق والأرشق والحلو والأحلى والعالى والأعلى من الكلام — أمر لا يدرك إلا بالذوق ، ولا يمكن إقامة الدلالة المنطقية عليه ، وهو بمنزلة جاريتين إحداهما بيضاء ، مشربة حمرة ، دقيقة الشفتين ، نقية الثغر ، كحلاء العينين ، أسيلة الخد ، دقيقة الأنف ، معتدلة القامة . والأخرى دونها فى هذه الصفات والمحاسن لكنها أحلى فى العيون والقلوب منها وأليق وأصلح ، ولا يدرى لأى سبب كان ذلك . ولكنه بالذوق والمشاهدة يعرف ، ولا يمكن تعليله . وهكذا الكلام ، نعم يبقى الفرق بين الموضعين أن حسن الوجوه وملاحتها وتفضيل بعضها على بعض يدركه كل من له عين صحيحة وأما الكلام فلا يعرفه إلا أهل الذوق ، وليس كل من اشتغل بالنحو واللغة أو بالفقه كان من أهل الذوق ، وممن يصلح لانتقاد الكلام ، وإنما أهل الذوق هم الذين اشتغلوا بعلم البيان ، وراضوا أنفسهم بالرسائل والخطب والكتابة والشعر ، وصارت لهم بذلك دربة وملكة تامة . فإلى أولئك ينبغى أن ترجع فى معرفة الكلام وفضل بعضه على بعض إن كنت عادماً لذلك من نفسك .

٨٨٠ — ياظبية البان ترعى فى خمائله

فى (الغيث الذى انسجم فى شرح لامية العجم) للصفدى : « ما من شاعر فى الغالب إلا وقد عارض الشريف الرضى فى قصيدته التى أولها :

يا ظبية البان ترعى فى خمائله
ليهنك اليوم إن القلب مرعاك

وما منهم من رزق سعادته » .

قلت : هذه أبيات منها ، قال بعد المطلع :

الماء عندك مبذول لشاربه
وليس يرويك إلا مدمع الباكى

هبت لنا من رياح الغور رائحة
بعد الرقاد عرفناها برياك

حكت لحاظك ما فى الريم من ملح
يوم اللقاء فكان الفضل للحاكى[1]

كأن طرفك يوم الجزع يخبرنا
بما طوى عنك من أسماء قتلاك

أنت النعيم لقلبي والعذاب له
فما أمرّك فى قلبي وأحلاك

سهم أصاب وراميه بذى سلم
من بالعراق لقد أبعدت مرماك

عندى رسائل شوق لست أذكرها
لولا الرقيب لقد بلغتها فاك

لو كانت اللمة السوداء من عددى
يوم النميم لما أفلت أشراكى[2]

---

(١) بضم السين وكسرها وسكون الفاء .

(٢) التاج : قال الأصبهانى فى المفردات وتبعه المصنف (صاحب القاموس) فى البصائر : إن الجلوس إنما هو لمن كان مضطجعاً والقعود لمن كان قائماً باعتبار أن الجالس لمن كان يقصد الارتفاع أى مكاناً مرتفعاً ، وإنما هذا يتصور فى المضطجع ، والقاعد بخلافه فيناسب القائم .

(١) التاج : ملح ككرم يملح ملوحة وملاحة وملحا فهذه ثلاثة مصادر الأول هو الجارى على القياس والثانى هو الأكثر فيـه ، والثالث أولها .

(٢) الغيم — بفتح أوله وكسر ثانية — موضع بين مكة والمدينة (معجم البلدان) . أفلته وأفلت منه .

من بودلير :

أوهـــــام .

للاستاذ محمد على مخلوف

نسيت وفى أحداث يومى ماينسى فلا ذكرى ما كان منى بالأمس!
أجل كنت ريان الجوانح بالمنى وكنت قرير العين أنعم بالأنس
هى الوجهة ... الفرحى تضل طريقها
إلى القلب فى ألفاف موج من البؤس
أنا الشاعر الحيران فى عالم الرؤى
أطل على الأكوان من هيكل القدس
تغازلنى الأرواح فى سبحاتها وتنشدنى حتى أغيب عن حسى
وأحيا على الدنيا غريباً مشرداً حليف هوى حتى يواريني رمسى
وأصبو إلى الأنغام والغيد والطلى
وإن عصفت أفكارى السود فى رأسى
يريب رفاقى ما بدا من تمردى وإيثارى اللهو البرئ على الدرس
وما علموا أنى دفنت مواهبى
وحطمت أقلامى ورت على طرسى
وردد فى الدهر أنشودة البلى مغلفة الأصداء خافتة الجرس!
وأخرست الآلام أوتار مزهرى وغاضت ينابيع السعادة فى نفسى
لقد فرغت كأسى ... فمن لى بغيرها
وهيهات أن أحيا وقد فرغت كأسى
ظننت الهوى يدنى من الخلد موكبى
فكان الهوى دون المظنة والحدس
وفى حقل عمرى كم غرست تجاربا
ولكن غيرى قد جنى ثمر الغرس
وقلبى فى نهر الحياة سفينة تميد على صم الصخور ولا ترسى
يلين إذا مس الرجاء شغافه ويقسو إذا طافت به ثورة اليأس
ويحمل أعباء ثقالا ... تؤوده ولايشتكى حين يصبح أو يمسى
بلى إنه فى الحب قد صار كالذى تخبطه الشيطان من ألم المس
وفى الشك للحيران ومض هداية يضج معانيه . فيرتاح للهمس
لقد بعت فى سوق المآثم عفتى
وحظى من الأخلاق بالثمن البخس
وها هو ذا ثوب التقى قد نزعته لتغسله الأقدار فى حمأة الرجس
طمست على قلبى فغاب صوابه
وهوم فى داج من الريب والهجس
وإن حياتى لن يضىء ظلامها ...
سوى قبس من نور حسنك يا شمسى
فلا ذكرى ما كان منى بالأمس! نسيت وفى أحداث يومى ماينسى!

قبــل الرحيــل

للاستاذ حسين محمود البشبيشى

أغداً أرحـل عن جنـة حبى أغداً ؟ لا كان من عمرى غد !
تاركا فى معبد الأشواق قلبى تعبث الذكرى به والـموعد !
كل شىء ها هنا يذكر أنى
قد أذبت الوجد من قلبى وعينى
وغداً أرحل ! ! . . لا كان غد

يا عيونى ... ودعيها ثم نوحى لغرام أن ترى الدمع بعينى
وابسمى صبراً كما تبسم روحى بالذى يخلد فى قلبى وأذنى
من ليالى الوصل فى ظل الأمانى
حينما كنا كأصـــــداء الأغانى
نتهادى ... وغداً تبعد عنى !

أغداً أرحـل عن وكر الأمانى وغـداً تذبل أزهار اللقـاء
يا غدى لا كنت من عمر الزمان لا رأتك العين يا ظل الفناء
كيف أحيا مفرد القلب غريبا
كيف أنسى ثغرها الحلو الحبيبا
كيف أنساها ... وأيام الهناء؛

يا طريق ... كم هنا سرنا معاً أترى فى البعد تنسى خطواتى ؟
وهنـا الحب ... بقلبينا سمى راقص الفرحة حلو الأغنيات
كم ضحكنا .. كم بكينا .. ها هنا
وانطلقنا .. خلف أسراب المنى
آه ما أقسى فراق الذكريات

بين مصر والسودان :

قصــــة الروح ...

للأستاذ عثمان طه شاهين

أخذت الحضارة تصلح على ضفاف النيل وواديه منـذ أن بدأ الإنسان يشتغل بالزراعة وبدأت حياة الاستقرار وإنشاء الحكومات ، وحيث أن المصريين — كما يقول هيرودوت — هم أقدم أمة متمدينة على الأرض فقد أخذت حضارتهم تنبت إذن على ضفاف الوادى متجهة مع الماء نحو الجنوب ، تاركة فيه رواسب متباينة من هذه المدنية القديمة ، وعلى هذا الأساس فقد بذرت البذور الأولى من قصة هذه الروح ، ثم إن هذه الصلة قد تكونت عن صدق وإخلاص لأن السودانيين كانوا يدينون بالدين المصرى القديم ويتكلمون اللغة المصرية .

يرى المحدثون من الباحثين أن معالم الحضارة المصرية القديمة والثقافة العربية قد تسربتا إلى السودان الشمالى عن طريق مصر ، وقد استطاع هذا الأقليم أن ينتج فى وقت ما حضارة شبه مصرية من حيث طابعها ومظاهرها ، ومنه خرج الغزاة الذين أسسوا إحدى الأسر الفرعونية كما أنه أقرب من حيث ثقافته وحالته البشرية العامة إلى مصر من أقليم النوبة الشمالية نفسه مما يرجح الأخذ بأن قصة هذه الروح تقوم على دعائم ثابتة ، وعلى أركان وطيدة راسخة تمـد الروح فى جهادها العبقرى للتخلص من ربقة الاستعمار .

فالروح فى الشمال لم تستكن يا صاح — فى تاريخها الطويل — للغزاة الفاتحين ؛ فإذا نظرنا إلى غزاة مصر من الأغريق والرومان فأنا نجد أنهم لم يفلحوا فى فرض طابعهم على الحياة المصرية ، ذلك لأن هنالك قوة حيوية كامنة فى نفوس المصريين تستحثهم على الدوام وتوجههم للثورة على الغالبين ، فغدوا هم غالبين منتصرين ، مسيطرين على المجرى الطبيعى لوادى النيل ؛ ومن هنا ندرك أن الروح المؤمنة الشاعرة تنتصر على الدوام لأن رسالتها تنبعث من قوى الإيمان الصادق .

وإذا انتقلنا مع الزمان نقلة سريعة باحثين عن الأثر الذى تركته الحياة العربية فى جنوب الوادى فاننا نلمح تجاوباً سريعاً فى حياة الروح فى الشمال والجنوب ، ذلك لأن الآلام واحدة والآمال واحدة كذلك ، ومرجع ذلك ومرده إلى وحدة اللغة والدين والعادات والتقاليد ، لأن حياة الأمم — كما نعلم — لا تتكون إلا عن طريق هذه النظم الاجتماعية الكبرى التى تعبر تعبيراً صادقاً عن التطور الطبيعى المرموق ، وعلى هـذا فالإيمان الذى يدعو إليه أبناء الشمال عن الجلاء ووحدة الوادى يجد سبيله النافذ إلى أبناء الجنوب فهم يستمسكون به ويدافعون عنه ويضحون فى سبيله بأغلى ما يملكون . فالروحان التمانقان فى الشمال والجنوب يؤمنان ويجاهدان ويعملان ...

ولـكن ما هى العناصر التى تمد هذه الروح وتذكيها ، وماهى الآثار التى يخلفها هذا الإيمان ، وما هو المدى الذى تتطلع إليه هذه الروح فى غدها القريب السعيد ؟ كل هذه النتائج يتلمسها المتتبعون لسير الحوادث فى جنوب الوادى فى هـذه الآونة الأخيرة ؛ ذلك أن حركة وادى النيل قد أخذت تظهر منذ أن هب المخلصون من السودانيين تلك الهبة المعروفة والتى تمخضت عن حوادث سنة ١٩٢٤ الدامية إذ قتل فيها من قتل وشرد فيها من شرد ، فـكانت تلك الحركة إذن وقوداً يذكى الروح الشعبية فى جنوب الوادى ، وقد وجدت تلك الحركة صداها فى نفوس الشعراء من شباب ذلك الحين فانبعثت الألحان الثائرة من عبد الله بن عبد الرحمن ، ومدثر البوشى ، وعبد الله البنا ، وصالح عبد القادر . فـكانت الشرارة الأولى للروح الثائرة المؤمنة ...

وإذا نظرنا إلى قصـة الروح فى الشمال فإنا نجد أن الحملة الفرنسية قد كان لها دور بعيد فى تاريخ هذه الروح ، إذ كان الفرنسيون أول أمة غربيـة هبطت مصر فى تاريخها الحديث واستولت عليها ، وبهذا فقد اتجهت أنظار الدول الأوربية إلى مصر وغدا لها فى تاريخ الروح الأوربية طور جديد ؛ أضف إلى هذا أن انجلترا قد أخذت تهتم بمصر اهتماماً عظيما وذلك لمركزها الجغرافى المرموق ، وأخذت تعمل — بالتالى — للحيلولة دون وقوع مصر فى يد دولة غربية أخرى ، ومن هنا تلعب قصة الروح دورها الذى أنفردت به من بعد على مدى التاريخ ؛ ومن

هنا ظهرت لجنوب الوادى مكانته فى نظر السياسة الانجليزية كما هو معروف .

ومن البداهة أن يلاقى المباقرة من العظماء والمجاهدين والفنانين الآلام المبرحة فى سبيل الوصول إلى القمة فى حياة الروح ، ذلك لأن التخلص من طبيعة الأرض يملك بهم من الانفلات والصمود فيجاهدون ويجاهدون ، ومن البداهة كذلك أن تلاقى الأمم هذه الآلام فى تاريخها للوصول إلى العزة والكرامة والاستقلال ، فالإيمان والثابرة شرطان ضروريان للروح فى سبيل تلمس مثلها العليا الكريمة ، والغاية قريبة — مهما بعدت الشقة — إذا دعمتها إرادة قوية وإيمان مطلق .

كانت الروح التى نادى بها جمال الدين الأفغانى مشتعلة وهاجة ، إذ لبث فى مصر سنوات يتصل بالطلبة من كل أرجاء العالم الإسلامى ويبث تعاليمه ومبادئه فتجد الاستجابة المؤمنة فى نفوس أبناء الأزهر بشكل لم يمهد له مثيل فى العصور الحديثة ، وأخذ الإمام محمد عبده يعيد للفكر قدسيته وللدين مكانته من حيث النظر العقلى السديد مما يذكر الباحثين بابن رشد حينما أراد أن يؤاخى بين الشريعة والحقيقة ، ومن هنا كان لهذه الحركة صدى بعيد فى الجنوب فارتبط الجهاد على الإصلاح والإيمان كما يرتبط اليوم على الجلاء والوحدة ، وكان ذلك النشاط المرموق يستمد قوته وبقاءه من الحركة العرابية فى الشمال ومن حركة المهدى فى الجنوب ، وعلى هذا فقد تلاقت الأكف والقلوب والحناجر بالدعاء والتضحية والإباء ......

أما اليوم — فى حياتنا المعاصرة الرشيدة — فقد أخذت الروح فى الشمال تعبر تعبيراً صادقاً عن إيمانها بالجنوب ، وأخذ الأديب السياسى الفنان هيكل باشا يصوغ هذا التعبير إذ قال : « إن مصر لم ترد فى يوم من الأيام سيطرة على السودان ولا تسلطاً على أهله ولا استغلالا لموارده ، ولكننا ونحن نعيش فى واد واحد تتحد فيه مرافقنا واقتصادياتنا ومقوماتنا جميعاً لا يستطيع أحدنا أن يستغنى عن صاحبه فى الشمال أو فى الجنوب ، كما أن أهل الغرب طالما كرروا ويكررون أن الأمم الصغيرة خاصة لا يمكن ان تعيش وحدها بل يجب أن تتكتل لتصبح قوية قادرة على التعاون ، والأمم لا تتكتل إلا إذا تجاورت ، وليس هناك تجاور أقرب من تجاور السودانيين والمصريين » .

وأخذت الروح فى الجنوب تعبر تعبيراً صادقاً عن إيمانها بالشمال وتجمل هذا التعبير فى القوى المذخورة التى ادخرتها الأمة لوفدها الأمين ، وفى هذه الآثار القوية المتجلية فى وجود الشعب ومشاعره وأحاسيسه وفى الأفكار التى يبعث بها الجنوب على صفحات الصحف المحلية والخارجية وفى الوثيقة الدموية التى خطها الشباب بقلبه وروحه ودمه ، وفى كل مايحدث من ثورات ويسيل من دماء تعبر عن هذا الإيمان وتكشف عن طبيعة الروح وهى تتخذ طريقها للتعبير ...

آمنت الروح على ضفاف الوادى بأنها ستنال حريتها وكرامتها ، وكان من طبيعة هذا الإيمان أن تتجاوب أنغام التضحية والفداء ، فأخذت القلوب تتلاقى فى الشمال والجنوب مؤمنة برسالة الحرية والإخاء داعية لأنغام الجهاد ، فسالت الدماء الطاهرة على قرى الوادى مؤذنة بميلاد الفجر الجديد ، وارتفعت الحناجر منادية بالثورة فى شباب الجامعة فى الشمال وفى أروقة العلم فى الجنوب ، ولفظ الشهداء أنفاسهم الأخيرة وهم ينادون بالاستقلال للوادى الكريم ، فأذن المؤذن بميلاد الفجر الجديد .

نعم ، قد أراد الوادى اليوم أن يكون خالصاً لبنيه ، وإذا أرادت الأمم شيئاً فهى واصلة إلى ما تريد . فالروح إذن إنما تعبر تعبيراً صادقاً عن أحاسيس أبناء الوادى ومشاعرهم وتترجم عن مواطن القوة والكمال فيهم :

إذا الشعب يوماً أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر
ولا بد لليـــل أن ينجلى ولا بد للقيد أن ينكسر

ذلك لأن إرادة الحياة — كما يقول الشابى — إنما تخلق بالأمم القوية الشاعرة التى تؤمن برسالتها فى الحياة وبحقها فى الوجود .

يا إخوان الطفولة وياحماة العرين ! انظروا إلى الأسد البريطانى يفغر فاه ليلتهم القوى المذخورة فى النفس . فلتكن يقظين ، فالانجليز معكم يا إخوان يسيطرون على كل شبر فى الجنوب ، ويبثون بينكم فى كل مكان ، ويصرفون الأمور بمددهم المديد الجم ، فكونوا يقظين حريصين ناظرين ، واعلموا أن جهادهم

فى الحرب قد استنفد منهم كل ما يملكون وفى الجنوب عوض للجهود التى بذلت وللنفوس التى حطمت وللأرواح التى حاق بها الخسران ...

هل تؤمنون اليوم بأن الانجليز يؤيدون حركة الانفصال ويرعونها لأن فيها خير البلاد ورفاهيتها وتقدمها ، وهل يقوم حاكم السودان بجولاته فى الغرب والشرق ، شارحاً قصة الحكم الذاتى ، متحدثاً عن أسطورة الاستقلال ، داعياً إلى مذهبه الجديد ، هل يصدق أولئك وغيرهم بأن الحاكم الانجليزى يفعل ذلك لخير السودان أم لخير الامبراطورية ! ؟

نحن مؤمنون يا صحاب بأن موسيقى الحياة تسير على أنغام عذاب ، ونحن مؤمنون بأن حركة الانفصال تلعب بها أصابع خفية ناشزة ، فلتشدوا الأوتار من جديد ولتصلحوا الحياة كيما تستقيم ، واعزفوا لأطفال اليوم ورجال الغد بأن الانجليز هم الداهية الدهياء فى الشرق الحديث ، وابعثوا الأنغام هادئة نقية ، وآمنوا بأن للوادى روحاً وجسماً وانظروا إلى رسالة السماء ...

ولتسر هذه الروح مؤمنة برسالتها فى الشمال وفى الجنوب والبدان الممدودتان — من ريشة الفنان — تقبل الأرض تباركان الخير وتبذران الحب للساعين ...

عمار طه شاهين
ليسانسيه فى الفلسفة

الأدب والفن فى أسبوع

هذا واجب قومى :

تلقت وزارة المعارف رسائل من بعض الهيئات الثقافية والملية فى الحبشة وأريتريا وجنوب أفريقيا والهند وغيرها من الأقطار الإفريقية والأسيوية وكلها تطلب أن تساعدها الوزارة ثقافياً وعلمياً بإمدادها بما يعينها فى أداء مهمتها ، وكلها تلح أن تبادر الوزارة المصرية إلى بذل هذه المعونة لشدة الحاجة إليها .

ولست أدرى ماذا صنعت أو ستصنع الوزارة بهذه الطلبات ولا مدى ما عندها من الاستعداد لبذل المعونة المطلوبة ، ولكنى أبادر فأقول إن من الواجب على الوزارة أن تبذل هذه المعونة ، وتلبى جميع هـذه الطلبات مهما كلفها الأمر ومهما لقيت فى سبيل ذلك من الضيق والرهق ، لأنها بهذا تؤدى واجباً على مصر نحو قوميتها ونحو مكانتها .

إن مصر تقف اليوم موقف الزعامة للعالم الإسلامى والعربى ، وللمجد تكاليف شاقة مرهقة ، فنحن لا نستطيع أن نحتفظ لمصر بزعامتها ولا أن ندعم مكانتها عند الأقطار العربية والإسلامية إلا إذا حققنا لهذه الأقطار ماتنشده عندنا وما ترجوه فينا وتطلبه منا ، وقد كان من الواجب علينا أن نتبرع بهـذه الخدمات الثقافية ، فكيف وقد توجه إلينا الرجاء بتحقيقها والنهوض بتأديتها ...

لقد قرأت فيما قرأت من أنباء هذا الأسبوع أن انجلترا تعانى فى داخل بلادها ضنكا فى شئون المعيشة ، وأن أفراد الشعب هناك لا يحصلون على حاجتهم من مواد الطعام واللباس ، على حين أن انجلترا تصدر الكميات الضخمة من هـذه المواد إلى الخارج ، وذلك لأنها تريد أن تحتفظ بأسواقها التجارية وأن تظل عند أمل الشعوب التى تقع تحت سيطرتها فيها ، فهى تضحى وتطلب إلى شعبها أن يحتمل الرهق حتى لا تغلبها دولة منافسة على أسواقها ، وحتى لا تجد أمة فرصة لاقتحام الميدان عليها ...

فياحبذا لو أخذت وزارة المعارف عندنا بهذا المبدأ فى تلبية ما يطلب منا من تأدية المعونات الثقافية فى الخارج ، ويا حبذا لو قدرت الوزارة أن الأمر واجب قومى لا بد فيه من التضحية وتجنيد الجهود مهما كنا فى أشد الحاجة إلى تلك الجهود .

المعجم اللغوى التاريخى :

يشتغل المجمع اللغوى الآن بإنجاز المعجم اللغوى التاريخى الذى وضعه المستشرق الألمانى المعروف الدكتور فيشر ، وقد قدر المبلغ اللازم لطبع هذا المعجم وإخراجه بألف وخمسمائة جنيه ، وإنه فى الواقع لمبلغ ضئيل بالنسبة لقيمة ذلك المعجم النافع الذى ليس له مثيل فى اللغة العربية .

أقول لا مثيل له فى العربية لأنه ليس لدينا معجم لغوى يشرح تطور الكلمات العربية فى دلالاتها ومعانيها وما جرى

في استعمالاتها المختلفة على نحو ما يعنى به علماء فقه اللغة ، وقد حاول جار الله الزمخشري في معجمه « الأساس » وضعاً قريباً من هذا ولكنه جعل قصده إلى إظهار تطور الألفاظ وانتقالها من الاستعمال الحقيقي إلى الاستعمال المجازي . وفي العصر الحديث عمد المستشرق فيشر إلى سد هذه الثلمة في القواميس العربية ولما لم تكن هناك مصادر تعينه في قصده جعل كل اعتماده على مراجعة النصوص العربية ، ومعنى هذا أن التراث العربي كله كان مصدر بحثه ، ولقد اضطلع الرجل بهذه المهمة الشاقة في صبر العلماء وأناتهم حتى استطاع أن يحرر في ذلك آلاف الجذاذات لتكون مادة القاموس إذا ما رتبت .

وعند ما اختير هذا المستشرق عضواً في المجمع اللغوي بمصر تقدم إلى المجمع بفكرته وعمله في هذا القاموس فشهد المجمع بأنها فكرة رشيدة وعمل جليل وأخذ الأهبة للعمل على إتمام هذا المعجم وإخراجه في وقت قريب .

وكان أن قامت الحرب ، وسافر فيشر إلى بلاده ، وجاءت الأنباء بأنه قضى نحبه في إحدى الغارات ، وطوى أمله وعمله في مطاوي الإهمال والنسيان ، إذ لم يكن « ضمير » السياسة يسمح بأن يظهر هذا العمل لذلك العالم الذي ينتسب إلى بني الألمان مهما كان عمله خالصاً للعلم . ثم انتهت الحرب ، وظهر أن فيشر لا يزال حياً والحمد لله ، وأن أحداث الحرب الرهيبة لم تنسه الرغبة في إتمام عمله بإخراج ذلك المعجم الذي وقف عليه العمر ، وعلى هذا عاد المجمع يهتم بإظهار هذا الأثر النافع المفيد ، وكل ما نرجو أن لا يبدو ما يدعو إلى التطويح به والتسويف فيه .

... إن العلم أمانة ! !

في مجلة « المباحث » — وهي مجلة تصدر في تونس لخدمة الأدب والفن والتاريخ والفلسفة — قرأت فصلين متتابعين عن « كتاب ألف ليلة وليلة » ، فما انتهيت من قراءتهما حتى تبين لي أني نظرت هذا البحث من قبل ، ولما أسعفتني الذاكرة ظهر لي أن الكاتب أخذ بحثه أخذاً كاملاً أميناً من بحث كتبه صاحب « الرسالة » عن « ألف ليلة وليلة » ، ومن العجيب أن صاحب « الرسالة » قد حاضر بهذا البحث أبناء العراق ، ونشرته مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، ثم مجلة المعرفة في مصر ، وأثبتته « دائرة المعارف الإسلامية » في التعليق على مادة ألف ليلة وليلة وسجله صاحبه في كتاب « في أصول الأدب » ، ولكن كل هذا لم يحمل الأستاذ التونسي على الاشارة إلى صاحب البحث إبراء للذمة .

ومنذ قريب تناولت مجلة أدبية سياسية تصدر في لبنان ، فطالعت فيها قصة لشاب من أبناء لبنان يحسبونه في الكتاب وفي الشعراء أيضاً ، ولكني ما كدت أنتهي منها حتى ذكرت أني قرأت تلك القصة في مجلة مصرية لكاتب مصري ، وبعد المراجعة تبين لي أن لا فرق بين القصتين إلا أن الكاتب المصري جعل فتاة القصة من لبنان والكاتب اللبناني جعل فتاة قصته من مصر وكم من عجائب وغرائب ، وكلها من هذا القبيل ، وإنها لجرأة أثيمة ؛ فان من الأمانة في العلم والإخلاص للأدب أن ينسب كل رأي لصاحبه ، وأن يرد كل فضل لفاعله ، وقد علمنا شيوخنا أن من شرائط الأدب والتأدب أن نسمي الاقتباس اقتباساً ، والنقل نقلا ، وقالوا لنا إن من نسب رأياً إلى صاحبه فقد خلص من تبعته . أما سرقة الأفكار والتطاول بأنها من صنع الابتكار ، فانها لصوصية في تقدير الأخلاق ، وجريمة في حكم القانون ؛ وعجز يتدلى بصاحبه في عرف الناس .

ملاحم البدو :

قرأت في إحدى المجلات السودانية كلمة يقول فيها كاتبها : « إن في أشعار البدو الرحل في السودان وفي دوبيت العرب القاطنين أشعار كثيرة يتفق الخاطر فيها مع الخاطر العربي الأصيل ، ويهيب بأبناء السودان وأدبائه أن يلتفتوا التفاتاً جدياً إلى هذا الضرب من الأدب القارن . » .

وكنت قد قرأت كلمة للباحث الفاضل الأستاذ أحمد رمزي بك في جريدة الأهرام أشاد فيها بالملاحم العربية البدوية وقال : « إن ترك هذه الثروة الأدبية التي يملكها العالم العربي بغير بحث واستقصاء وجمع وتسجيل جريمة في حق الأدب الشعبي والفني ،

وإنى أطمع فى أن أجد جماعة منظمة تعنى بهذه الناحية وتجمع هذه الثروة الفنية خاصة وأن أثرها لا يزال عميقاً فى نفسية شعوب العروبة » .

والواقع أن ملاحم العرب البدو جديرة بالاهتمام والتسجيل ، ولكنا تناضينا عن هذا التراث وأهملناه إهمالا كبيراً ، وقد كان للأجانب شغف وعناية بهذا التراث أكثر من عنايتنا به ، فهل آن الأوان لأن نهتم بذلك التراث الحافل ، وأن نبذل له ما يجب من الدراسة والتسجيل ؟

معلوم !

يزور أقطار الشرق العربي فى هذه الآونة مستر دكسون المستعرب الانجليزى استعداداً لإصدار مجلة باللغة الانجليزية فى لندن للدفاع عن قضايا العرب فى الشرق الأوسط وشمال إفريقية ، ويقول مستر دكسون إن مجلته هذه لن تكون ذات صبغة سياسية ، ولكنها ستعنى بالثقافة والعلم والحياة العربية ، وستوزع فى بريطانيا وكندا والولايات المتحدة لكى يعرف الغربيون أكثر مما يعرفون الآن عن حياة العرب وقضاياهم .

وليس مستر دكسون بالرجل الغريب عن أقطار الشرق العربي ، فقد أمضى بها من قبل نحو عشر سنوات ، وتنقل فى مصر والسودان وفلسطين وطرابلس وغيرها من هذه الأقطار ، وهو يتقن اللغة العربية ولا يزال جاداً فى الإحاطة بآدابها وثقافتها ، وقد أنشأ أخيراً الجمعية الاسكتلندية العربية وأسند رياستها إلى السير والتر ماكسويل سكوت كما استعان فى رعايتها بالسفراء العرب فى لندن ، ويقولون إنه الآن بسبيل تأليف جمعية أخرى فى دبلن بإرلندا ...

ولكن ما هذا كله ؟ وهل مستر دكسون يبذل كل هذا العناء للدفاع عن العرب وقضاياهم حقاً كما يقول ويقول أنصاره ؟!

إنها لمفارقة لطيفة ، وإنه لأسلوب من أساليب الدعاية الاستعمارية خبرناه من قبل ، ووقفنا على اتجاهاته وأهدافه ، فما نال أبناء الشرق العربي من ضر مثل ما نالهم على يد أولئك الأصدقاء الأعداء الذين يتطوعون للدفاع عنا ويذرفون الدموع السخينة لحالنا وما هى إلا دموع التماسيح ، ولكن عذر هؤلاء أن هذا الأسلوب لا يزال يجوز على ضعاف العقول من أبناء هذا الشرق الذين تأخذ بلبهم ظواهر الأمور .

إنجليزى يدافع عن العرب عند الإنجليز ؟! معلوم !! معلوم وياله من منطق مفهوم !!

هل هذا صحيح :

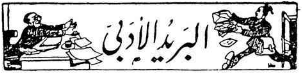
كانت كلية الآداب الفرنسية فى لبنان قد وجهت الدعوة إلى الدكتور عبد الرحمن بدوى المدرس بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول إلى إلقاء سلسلة من المحاضرات الفلسفية هناك فلبى الدعوة ، ويقولون إنه قد قوبل بالحفاوة والترحيب وإن محاضراته قد قوبلت كذلك بالاعتبار والتقدير .

ولكنى طالعت فى العدد الأخير من مجلة « المهد » التى تصدر فى جنوب لبنان حديثاً جرى بين محرر تلك المجلة وبين الأستاذ البير عمون صاحب مجلة « الأديب » عرضا فيه لهذه المسألة . فقال الأستاذ عمون — والعهد على راوى الحديث —

« إن دعوة الفرنسيين للدكتور عبد الرحمن بدوى لإلقاء هذه المحاضرات ليست إلا إحدى مناوراتهم ومثالا لأساليبهم التى يخدمون بها مراكزهم ويجلبون الناس إليهم ، ولم يلب الدكتور بدوى الدعوة إلا لأن مركزه كأستاذ فى الجامعة المصرية يكاد أن يكون مضطرباً فى المدة الأخيرة ، وذلك على أثر مذهب فيه شىء من الإباحية كان الدكتور قد دعا إليه فى أحد كتبه ، فأثار نقمة أولياء الأمر فى مصر ، وبخاصة أوساط الأزهر ، ولا يستبعد أن يرى الدكتور هذه الدعوة بمثابة تأييد لمركزه ، وهى من كلية فى لبنان بلد العلم والثقافة » .

هذا ما جاء فى ذلك الحديث بنصه وبحروفه ، وأنا رجل شديد الغيرة على أبناء وطنى ، وظنى بهم أباة يترفعون عن أن يكونوا صنيعة لأية دولة مهما عظمت ، وإن هذه الغيرة لتدفعنى إلى سؤال الأستاذ بدوى : هل هذا صحيح ؟!

« الجاحظ »



واحة الكفرة :

جاء فى (أخبار اليوم) العدد (١٢٩) أن الذى اكتشف واحة الكفرة هو أحمد حسنين باشا رحمه الله ، والباشا رجل أجمت القلوب على محبته وتجلته ، ولكن الحق يذكر ، وذلك أن أول من زار واحة الكفرة من غير السنوسيين هو صادق باشا العظم رحمه الله أرسله إليها السلطان عبد الحميد موفداً إلى الشيخ المهدى السنوسى الكبير سنة ١٨٨٤ ولم يصل إليها رسول قبله ، وقد وضع عن رحلته تلك كتاباً باللغة التركية ترجمه إلى العربية جميل بك العظم رحمه الله ، وقد أوفده بعد ذلك إلى نجاشى الحبشة منلك سنة ١٩٠٦ ووضع عن رحلته الحبشية كتاباً ترجمه رفيق بك العظم رحمه الله ، ودلة حقى بك العظم رئيس وزراء سورية سابقاً ، وعنه روينا هذا الحديث ، والرحلتان مطبوعتان بالعربية .

(قارىء)

خطأ عروضى :

اطلعت فى عدد الأهرام بتاريخ ١٩ فبراير سنة ١٩٤٧ على قصيدة للأستاذ الشاعر محمد الأسمر فى ذكرى وفاة المرحوم أحمد حسنين باشا مطلعها :

أعام مضى أم تلك أحلام حالم وذكرى الكريم الحرأم وهم واهم!

قال فيها :

وعدت لنا من حفرة وجاهل ومن عالم تحت الثرى أى عالم !

فوقع فى خطأ عروضى هو « سناد الإشباع » ، وذلك بتغيير حركة الحرف الدخيل بعد ألف التأسيس من خفض فى جميع الأبيات إلى فتح هنا فى هذا البيت الأخير ، وهو خطأ تواضع العروضيون على عدم استعماله أو الوقوع فيه

هذا ، والقصيدة المترعة بالذكريات واللوعات ، لا يغض من قيمتها هنة من تلكم الهنات . والسلام

عدنان أسعد

فى اللغة :

كتب بعضهم فى الرسالة الغراء : (انطلت عليه الحيلة) يريد جازت عليه . وأظن أن هذا التعبير أول ما دخل عن طريق الترجمة . فليت من يدل على تعبير قديم بهذا اللفظ

ويقولون :(حديث طلى) ، والطلى كغنى الصغير من أولاد النعم جمعه طلبان كرغفان (القاموس) . وأما الحسن المعجب فهو الطل (القاموس أيضاً)

فلسطينى

طباق قلعة القاهرة :

كان الأستاذ أحمد رمزى بك أورد فى « الأهرام » نص السخاوى فى كتابه (الضوء اللامع فى تاريخ القرن التاسع) عن سكن ناصر الدين محمد جقمق « بالغور بالقلعة » وقال : هل هناك مكان معلوم القدماء بالقلعة كان يطلق عليه اسم « الغور » ؟

نعم ، كان فى القلعة اثنتا عشرة طبقة ، فى كل طبقة نحو ألف ممن يتلقون دروس التدريب على الجندية والحرب ، مع بعض علوم الشريعة والعلوم العصرية ، ومن هذه الطباق طبقة قائمة على أرض منخفضة ، فسميت « طبقة الغور » . وفى « الضوء اللامع » يذكر كثيراً من هذه الطباق كطبقة الرفرف وطبقة الزمام وغيرها .

وهذه الطباق كانت أكبر مدرسة حربية نعرفها فى التاريخ وأقدمها ، وقد تخرج منها آلاف من الضباط والقواد والأمراء ، بل الملوك . ولو جمعت أخبار هذه الجامعة الحربية لجاءت فى كتاب حافل .

وفى خطط المقريزى ، وزبدة كشف الممالك لخليل بن شاهين الظاهرى (المطبوع فى أوربة) مفصل القول على هذه الطباق ونظامها ، وفى در الحبب فى تاريخ حلب لابن الحنبلى بحث عن صلة السلطان الغورى بطبقة الغور ، ونسبته إليها ، وأنها بفتح الغين ، وفى (شذرات الذهب فى أخبار من ذهب) شىء من هذا

وكان فى المكتبة التيمورية خزانة خاصة لكتب الفروسية والرمى وآلات الحرب؛ ألف الكثير منها فى عهد المماليك، وكان كثير منها يدرس فى طباق القلعة .

محمد عبد الوهاب فايد

حول (اكتبوا للأطفال) :

اطلعت فى مجلتكم الزاهرة على كلمة الأديب محمد سيد كيلانى (اكتبوا للأطفال) ومع تقديرى لاهتمامه بهذا العنصر الهام من عناصر نهضتنا العربية وتدوينه جهود الغربيين فيه آخذ عليه قوله بالحرف الواحد « أما فى الشرق فلم يعن أحد بالاتجاه فى هذه الناحية ... الخ » .

إذ قد قام المرسلون الأميركيون فى بيروت ما بين ١٨٨٥ و١٨٩٩ بترجمة وطبع كتب كثيرة للأطفال باللغة العربية مثل حكاية روبنصون كروزو وغيرها من القصص الأدبية الأخلاقية (التى لا صلة لها بالدين) مكتوبة بأقلام كبار أدباء سوريا ولبنان يومئذ وموضوعاتها لذيذة وأساليبها شيقة تستهوى عقول الأحداث والأطفال وهى مزينة بالصور الجذابة، بل أذكر أننى كنت أقرأها وأنا طفل بين العاشرة والخامسة عشرة بشغف وسرور، وكان لدى العشرات منها وكانت جميعها مطبوعة طبعاً أنيقاً (وأحياناً مشكولة) فى مطبعة الأميركان فى بيروت ولعل الأديب الكيلانى يعثر فى مكتبة خاصة أو فى مكاتب بيروت على نسخ منها .

ثم إن كاتب هذه السطور (ولا فخر) أصدر مجلته الأسبوعية «مجلة الأولاد» فى ١٥ فبراير سنة ١٩٢٣ وظل يصدرها أسبوعياً حتى ١٢ مارس سنة ١٩٣١ وكان يتراوح ما يطبع منها فى مطبعة اللطائف المصورة بين ١٤ و١٦ ألفاً وكانت طافحة بالرسوم المضحكة التى تسر الأطفال وتقر عيونهم وتكتب شروحها باللغة العامية المسجعة وفى أواخر سنيها كان يكتب فيها بلغة صحيحة بسيطة وأضيف إليها معلومات علمية طبيعية وألعاب للتسلية ومسابقات ولم نوقفها إلا لأسباب فنية قاهرة، وكانت معظم رسومها شرقية مصرية وبعد أن أوقفناها سعى الكثيرون من الأدباء والأديبات إلى إنشاء مجلات للأطفال والأولاد على غرار مجلة الأولاد ولكن أغلبها لم يقو على مكافحة الأزمات ، وكانت آخر محاولة من الأستاذة إجلال حافظ ومجلات أخرى أظن أنها ما زالت تصدر وأذكر أن مجلة الأسبوع الزاهرة وبعض الصحف بدأت بنشر مواد مصورة للأطفال .

اسكندر مكاريوس

تعليق وتعقيب :

١ — اذكر موضوعى حول « طيزناباذ » أديبة فلسطين فدوى طوقان بقصة صاحبة الفن علية بنت المهدى أخت الرشيد، وأقامتها بطيزناباذ بعد منصرفها من الحج، وهى التفاتة ظريفة من الأديبة الفاضلة أذكرتنى أيضاً بما يشبه هذا الخبر من قصة حج أبى نواس الذى رواه سليمان بن نوبخت عندما أراد الحج فاستصحب أبا نواس بعد نفار منه وامتناع . لكن « راهب الكأس » اشترط على سليمان أن يتقدما الحاج إلى القادسية، ثم يعرجا « قليلا » على طيزناباذ، ريثما يصل الحاج فعلا .

وكان فى طيزناباذ خمار ظريف، لطيف الآلة، يعتق الشراب اسمه «سرجيس» له ذكاء وفطنة فى المنادمة، فشرب أبو نواس هو وصديقه سليمان، ثم استيقظ ليصطبح « على عادته » فأنشد :

وخمار أنخت إليه ليلاً ... قلائص قد ونين من السفار
فجمجم والكرى فى مقلتيه ... كمخمور شكا ألم الخمار :
أبن لى كيف صرت إلى حريمى ... وجفن الليل مكتحل بقار ؟
فقلت له : ترفق بى فإنى ... رأيت الصبح من خلل الديار
فكان جوابه أن قال : صبح ... ولا ضوء سوى ضوء العقار !
وقام إلى العقار فسد فاها ... فعاد الليل مسود الازار
وشك بزالها فى قعر دن ... محفرة الجوانب والقرار
مصورة بصورة جند كسرى ... وكسرى فى قرار الطرجهار
وجل الجند تحت ركاب كسرى ... بأعمدة وأقبية قصار

ثم جلس يشرب مع سليمان ، وبقيا يصلون الليل بالنهار فى اصطباح واغتباق ، حتى ورد عليهما أوائل الحاج قد حجوا وعادوا فرحلا معهم إلى بغداد على أنهما كانا حجاجاً معهم . .

أما الآثار التى كانت شاخصة على عهد ياقوت والعمرى والشابشتى فقد كانت تسمى فى ذلك الحين « قباب أبى نواس » .

٢ — ومما فاتنى ذكره عن قطربل إن حاناتها اختصت بالنظافة وحسن الصفة ، والتألق فى الآلة ، كما امتاز سقاتها وباعتها بالفطنة واللباقة والظرف ، ونظافة المنازل والدنان .

واشتهرت قطربل بالمشمش حتى ذكره البحترى فى شعره قائلاً :

شربت مشمش قطربل وجرعتنا دقل الدسكره (١)
إذا حبٌّ فى الكاس مسوده فكف النديم لها مخبره

وكان ينزل هذه القرية الأعراب الذى يفدون على بغداد من البادية ، وكانت لغتهم فصيحة لم تشبها شوائب اللحن ، وفى القصة الزنبورية خير شاهد على ذلك . فقد نُقل عن الاصمعى أن هؤلاء الأعراب كانوا ينزلون بقطربل ، وأن الكسائى لما ناظر سيبويه استشهد بلغتهم عليه ، وفى ذلك يقول أبو محمد اليزيدى :

كنا نقيس النحو فيما مضى على لسان العرب الأول
فجاء أقوام يقيسونه على لغى اشياخ قطربل
إن الكسائى وأصحابه يرقون فى النحو إلى أسفل !

أما موقع قطربل بالنسبة إلى جغرافية العراق الحالية ، فقد قال صديقنا مصطفى جواد تعقيباً على ما كتبناه فى الرسالة فى العدد ٧٠٤ بكلمته المنشورة بجريدة العراق عدد ٢٣/٩/٤٩ بأنها « فوق الكاظمية بكيلو مترات قليلة مقابل بستان كاظم باشا من الغرب » ويظن أنها « كانت فى الوضع المعروف — اليوم — بالتاجى »

(بغداد) **شكرى أحمد**

(١) ابن المعتز فصول التماثيل فى تباشير السرور ص ٤١

النهضة الأدبية فى طرابلس :

منذ زوال الحكم الإيطالى الغاشم عن أرض ليبيا العزيزة « طرابلس وبرقة » والنهضة الأدبية تسير بخطوات ثابتة سريعة بصورة تدعو إلى التقدير والإعجاب .

فهنالك فى كل من مدينة درنه وبنغازى عاصمة برقة التجارية وطرابلس فى جميع هذه المدن قد انتشرت الجمعيات الثقافية والندوات الأدبية التى تتلخص رسالتها فى نشر الأدب العربى وبث روح الثقافة العربية بين جميع المواطنين .

وقد كتب المواطن الفاضل الأديب « صلاح الدين بن موسى » مقالا قيما فى الرسالة (٧١٠) تحت عنوان « الحياة الأدبية فى طرابلس الغرب بين الماضى والحاضر » ولكن فاته أن يذكر فيه كلا من الشاعرين العصاميين الأستاذ أحمد الشارف شاعر طرابلس والأستاذ أحمد رفيق المهدوى شاعر برقة وهما بحق علمان من أعلام الشعر والأدب فى طرابلس الغرب :

ولقد اطلع أستاذنا العقاد على شىء من شعر الأستاذ رفيق فنال إعجابه وتقديره .

(القاهرة) **فرج بن جليل**

بطل الرديف :

اطلعت فى العدد ٧١١ من « الرسالة » على قصيدة أو بالأصح « مزدوجة » للأستاذ « أبو الوفاء » محمود رمزى نظيم فيها :

واخترعوا تخيّروا ألبابنا وملكوا بسعيهم زمامنا
كيف نقول ما لهم وما لنا إذا استقل علمهم تحولنا

« والمزدوجة » كما ترى مؤسسة بألف التأسيس فى الأشطر الثلاثة الأولى إلا فى الشطر الرابع فقد غيّر من التأسيس إلى الردف وهو حرف الواو ، وذلك ما نص العروضيون وتواضعوا على خطئه وعدم جواز استعماله .

وهى هنة هينة والسلام .

(الزيتون) **عدنان أسعد**



أسطورة من الأدب الروسي :

الخـــير والشر ... !

للكاتب الفيلسوف ليو تولستوي

[مهداة إلى أستاذنا الفاضل محمود الخفيف]

بقلم الأســـتاذ مصطفى جميل مرسي

[من الهدى والتوفيق أن تنقل هذه القصة الرفيعة إلى العربية في الحين الذي يقوم فيه الأدب الكبير الأستاذ محمود الخفيف بترجمة رائعة لحياة ذلك الفيلسوف الذي ذاعت شهرته الأدبية وشاعت عبقريته الفلسفية في جميع أنحاء العالم، وترجمت كتاباته وقصصه إلى معظم اللغات في مختلف البلدان ... وقد سبق لنا أن قدمنا منه إلى قراء « الرسالة الغراء » في قصة « الملاك » التي نشرناها تباعاً على صفحاتها في شهر أغسطس سنة ١٩٤٦

وفي هذه القصة التي تتنازعها عوامل الخـــير والشر ، وتضطرب فيها دوافع الحق والباطل ... نلتقي بعبقرية تولستوي الفذة وعقله الجبار في خير ما سطره يراعه في تمجيد الفضيلة ورفعتها ! فهو يجلو لنا في ثنايا هذه القصة صفحة بارعة من الحلم والتسامح والعفو وضبط النفس التي تنزع بالمرء إلى ركوب متن الشطط والغي ... وقد رأينا أنه من الأفضل أن نتناول عنوان هذه القصة بالإيجاز والتحوير لطوله ... فهو في الأصل الذي نقلنا عنه « Evil allures, but good endures »] .

« م . جميل »

حدث في الأيام التي خلت وطوتها صفحات الدهر منذ القدم ... أن كان ثمت رجل رضي النفس طيب القلب جليل الشأن عظيم القدر ... أقبلت عليه الدنيا وأتاحت له وفراً في ماله فملك الضياع والديار ... وراح يعيش في ثراء ورغد ، ومن حوله جمع من العبيد يقومون على خدمته ويتولون قضاء حاجته . وقد بثهم سيدهم من الود وأخلص لهم من العطف ما جعل أفئدتهم تخفق بحبه وألسنتهم تلهج بحمده . !

وراحوا يتيهون بسيدهم فخراً وزهواً ، ويغبطون أنفسهم على هذا الفضل وهذه النعمة ويعربون لجيرتهم عن مبلغ هناءتهم قائلين :

« لم تطلع الشمس على من يضاهي سيدنا في طيبته ورقة عاطفته ... فهو يطعمنا إذا ما أدركنا الجوع ، ويخلع علينا من الثياب كل طريف ومن الأبراد كل جميل ، ويهيئ لنا أعمالا تتفق ومقدرتنا وقوتنا ... وما تلفظت شفتاه يوماً بكلمة سوء رمينا بها ولا بيت لنا حقداً ولا ضغناً ... فما هو كالســادة الآخرين الذين يذيقون عبيدهم هول العذاب ويقسون في عقابهم سواء أحق عليهم أم لم يحق . ! ولا يحنون عليهم بكلمة عطف ولا يواسونهم إذا ما مسهم الضر ... أما سيدنا فقد وهبه الله قلباً يتمنى لنا الخير ونفساً ترجو لنا السعادة ... نحن لا نأمل في حياة أهنأ ولا أرغد من هذه . ! » .

فضاق الشيطان ذرعاً بذلك الحب والود الذي يكنه العبيد لسيدهم ، فعمد إلى واحد منهم يدعى « ألب » فسخره ليوغر صدورهم ويشيع بينهم الفتنة والعصيان ويسرب إليهم الفساد ...

وبينما هم جلوس ذات يوم يتناقلون حديث العطف والكرم الذي يسبغه عليهم سيدهم ويحوطهم بفضله ... رفع «ألب» صوته قائلا في خبث ودهاء : « إن من الغباء والحمق أن نغرق سيدنا بهذا الحمد ونحيطه بتلك الهالة من المديح ... وهو لا يستحقها . فالشيطان قدير وكفيل بأن يكون كيساً رقيق الحاشية معكم إذا ما أديتم له كل ما يروم ! . فنحن نخدم سيدنا في وفاء وإخلاص ونحقق له كل ما يساور نفسه ويراود فؤاده من بغيات ... فما الذي يمنعه سوى أن يكون رحيماً كريماً معنا ؟! . دعونا نحاول أن ندفع إليه ضرراً ما ثم ننظر ما يكون من جلية أمره ... وإني لعلى يقين من أنه لا يفضل أقرانه السادة . فلسوف يلقى إساءتكم بمثلها بل بأشد منها ... » .

فانطلق بقية العبيد ينكرون هذا القول ، ويدرأون الشبهات عن سيدهم وولي نعمتهم ... بيد أنهم ما لبثوا أن عقدوا فيما بينهم رهناً مع « ألب » الذي أخذ على عاتقه أن يثير حفيظة سيده

ويلهب غضبه ... وقد تمهدوا بأن يدفعوا إليه بالثياب التي يحرمه منها سيده ، ويقوموا مدافعين عنه أمامه أو يمدوا إلى إطلاق سراحه إن حبس أو غل بالقيد ! .

كان «ألب» راعياً مسئولا عن فِرْز من الغنم النادرة الغالية التي يعتز بها سيده ...

وفي اليوم التالي حينما أقبل سيده في صحبة من أضيافه ليريهم ويمتع ناظرهم بتلك الأغنام الكريمة ... غمز «ألب» بحاجبه لرفاقه وكأنه يقول لهم « انظروا الآن إلى أي حد سأثير غضبه وحنقه ! . » .

وتجمّع العبيد يمدون طرفهم من فوق سياج المرعى! وتسلق « الشيطان » شجرة سامقة حيث استقر فوقها وراح يرقب ما سوف يعمله « ألب » خادمه ورسوله . !

وتهادى السيد مع صحبه يعرض عليهم شياهه وحملانه ... وانثنى يقول لهم وقد رنّ في صوته جرس الإعجاب والزهو: « إنها جميعاً كريمة نادرة ،ولكن بينها كبشاً أصوف أعقص القرن — لا يقدر بمال — أعتز به كما أعتز بعقلي . ! » .

وشاع الاضطراب بين حشد الأغنام ، فانطلقت تعدو إلى جهة أخرى من المرعى ، فلم تنهز للزائرين سانحة لرؤية ذلك الكبش الذي نوه صاحبه بجلال قيمته وعظم شأنه ...

ولم تكد تستقر الشياه في مكانها حتى أثارها « ألب » من جديد فعادت تجري إلى كنف آخر ، وهي تضطرب فيما بينها ، وفوّت على الزائرين نهزة اجتلائها وتبيُّن الكبش . . فلم يجد السيد بداً — وقد أدركه العناء وبرح به الإعياء — من أن يدعو « ألب » قائلا : « أرجوك أن تحول بين ذلك الكبش الأعقص القرنين وبين الهرب وأمسك به معتنياً حتى تتاح لنا رؤيته » !

ما كاد السيد يقول ذلك ، حتى انطلق « ألب » بين الشياه كالأسد الذي يسعى بين رعيل من الظباء ! . وقبض على صوفة الكبش في عجلة وتناول رجلا من أرجله فلواها في شدة حتى تهشمت عظامها وسارت له قعقعة الغصن اليابس حينما يطؤه الإنسان . . لقد حطم ساقه وجعله يخر على الأرض وهو يتأج ويئن في ألم . .

ثم لم يلبث « ألب » . أن أمسك برجل أخرى وحاول أن يلحق بها ما أصاب سابقتها !

فصاح الزائرون في جزع ، وهتف العبيد في هيمة وفزع . وطرب الشيطان وهو قابع في مكانه على الشجرة ، وهلل فرحاً لما رأى من نجاح خادمه وهو يسعى لإثارة سيده ! وتقطّب جبين السيد وعلته كآبة سوداء تنذر بعاصفة هوجاء ، وزمهرت عيناه وقد اتقد فيهما لهيب الغضب والحنق والسخط . . وقد كاد أن ينشق من الغيظ . . بيد أنه طاطأ رأسه ولم ينبس ببنت شفه . .

ران الصمت — ولكنه صمت رهيب — على الأضياف وعلى العبيد وقد تعلقت أنفاسهم يترقبون ما سوف يتمخض عن هذه الجناية على الكبش المسكين الذي لا يُلفى له نظير !

وبعد هنيهة من السكون ، هز السيد كتفيه وكأنه قد تخلص من حمل ثقيل كان يجثم على قلبه ... ثم لم يلبث طويلا حتى رفع رأسه ومد بصره إلى الأفق البعيد مستغرقا في فكره لا يريم . !

وبغتة . ! غاب التقطب عن صفحة جبينه وانفرجت أسارير وجهه وهدأت نفسه وقد عصف بها الاضطراب ... ونظر إلى « ألب » في عطف وعلى ثغره ابتسامة عذبة ... وقال في صوت رقيق شاعت فيه الوداعة والطمأنينة :

« إيه ... يا ألب ... لقد أغواك صاحبك الشيطان بإثارة غضبي ولكنني سوف أخيّب مسعاه وأثير غضبه هو ... فلست بحانق عليك ولا ساخط منك ... إنك لتخشى عقابي ويداعب نفسك أمل في أن أعتق رقبتك ! . فاعلم — إذن — أني لن أمسّك بسوء ، كما أني — أمام هؤلاء الأضياف وتحت سمعهم وبصرهم — أطلق حريتك ... فاذهب أينما شئت ... فأنت حر من هذا اليوم . ولك أن تحمل معك ما تود من ملبس وطعام . »

* * *

وانثنى السيد عائداً مع رفقته إلى داره في هدوء وبشر أما الشيطان — وقد باء مسعاه بالخسران المبين — فقد هوى من فوق الشجرة ... وغار في الأرض ...

(القاهرة) مصطفى جميل مرسي